قصة عنترة بن شداد

الفارس الشجاع والبطل المغوار ومثال الحب العفيف



قصة

عنترة بن شداد

الفارس الشجاع والبطل المغوار ومثال الحب العفيف

محمد الدسوقى

مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - مصر الجديدة - القاهرة ت: ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ فاكس: ٦٣٨٠٤٨٣
IBN SINA BOOKSHOP *Printing - Publishing - Distributing - Exporting*
76 Mohamed Farid St., Heliopolis, Cairo Tel. : (202) 6379863 - 6389372 - Fax : (202) 6380483

اسم الكتـــاب : قصة عنترة بن شداد
اسم المـــؤلف : محمد الدسوقى
اسم الناشـــر : مكتبة ابن سينا
تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم
رقـــم الإيـــداع : ١٦٨٢٥ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : 977-271-595-3

تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية من وكيلنا الوحيد مكتبة الساعى للنشر والتوزيع
الرياض - هاتف : ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ جدة هاتف : ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس : ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع ابن سينا القاهرة ت : ٣٢٠٩٧٢٨

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com



مقدمة

لا شىء ينفع فى بعث العزائم من التذكير بالقدوة ، والاقتداء بالأسوة ، والاهتداء بالقيم النبيلة فى حياة الآباء والأجداد !

وتاريخنا العربى غنى بالبطولات الجديرة بإحيائها ، وبالمثل العليا التى رفعوا لواءها في حزم وعزم ومضاء ، وناضلوا من أجلها على مر الزمان !

وها هى ذى بطولة من الماضى .. الماضى البعيد المتصل الحلقات .. بطولة «عنترة بن شداد العبسى» .

هذا الفارس العربى الذى جنى عليه مجتمع ظالم التقاليد .. ذلك لأنه كان «ابن أمة سوداء» ، فأرادوا له أن لا يرتفع بالنسب إلى طبقات أبناء الحرائر !

أرادوا له أن يظل عبدا فى خدمة السادة ، لا يجالسهم ، ولا يقاسمهم غنائمهم ، ولا يرفع رأسه بينهم !

لكنه أثبت وجوده ، وفرض نفسه بفروسيته الحربية والخلقية .. فاعترف بفضله الجميع حتى من كانوا يعادونه ، وصدق عليه قول القائل :

شـــهـــدت بفـــضلك كل العـِـدا

والفـضل مـا شـهـدت به الأعـداء

هذا وقد استخلصت قصته من الكتب التاريخية والأدبية الموثوق بها ؛ وديوان شعره المسمى «مُنية النفس فى أشعار عنتر عبس» .

فتعال نعايشه فى كل أطوار حياته ، فأمتنا أحوج ما تكون إلى مثل فروسية عنترة وشجاعته ، وإبائه للضيم وإصراره على تخليص حريته من الشوائب ، والوقوف فى وجه دعاة التفرقة ، وظلم الإنسان!

وحسبك أن تقضى وقتا مع من صار مثلا فى الحب والوفاء ، كما كان مثلا فى الشجاعة والبأس والمضاء !

مع أطيب التمنيات بقراءة ممتعة ...

محمد الدسوقى

القاهرة فى : ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٢٢ هـ

٢٠٠٢/٥/٢٣ م

مــاء الحيــاة !

لا تَسْقِنى ماءَ الحياةِ بذِلّةٍ

بَلْ فاسقنى بالعِزِّ كأسَ الحَنْظَلِ

عنترة بن شداد



ابن مَن أنا ؟!

فى إحدى المعارك التى خاضتها قبيلة عبس ، أسر شَدّادُ الفارسُ العبسىّ فتاةً حبشيةً اسمها «نانا» ابنة «ميجو» ، وأتى بها إلى نجد وما حولها من الجزيرة العربية إلى «أرض الشُّرَيّة والعلَم السعدى[1]» حيث كانت تقيم قبيلة عبس .

ولما استقر به المقام أطلق عليها اسم «زَبيبة» ، واستحلها فولدت له ولداً كان أشبه الناس بأمه فى سواد لونه ، وشفته المشقوقة ، ولهذا أطلقوا عليه عنترة الفَلْحاء ! أو عنترة ابن زبيبة !

كانت تقاليد القبيلة تقضى بأن أبناء الجوارى لا يُنسبون إلى آبائهم ، لأنهم أبناء الإماء ! وحسبهم أن يعملوا خدما فى البيت الذى وُلِدُوا فيه !

أما أبناء الحرائر ، فهم السادة .. وهم الأشراف الذين يُخْدَمون ولا يَخدِمون !

وفتح عنترة عينيه على الدنيا من حوله .. فإذا هو لا يعرف له أبا .. إنه ابن زبيبة وكفى !

مهمته فى البيت والغيط خدمة السادة .. ورعى أغنامهم وإبلهم ليس إلا !

فى الصباح يسوق الإبل والغنم إلى «أرض الشُّرَيّة والعلم السعدى» ليرعاها ويسقيَها .. فإذا حل المساء عاد بها حيث يقيم بنو عبس ، فيتولى حَلْبَها ، وتقديمَ اللبن سائغا للشاربين من السادة .. ويظل ساهرا على خدمتهم ! ..

بينما هم يتعالَوْن عليه .. ولا يعترفون له بفضل !

أليست خدمتُهم واجبةً عليه ؟! ولا شكرَ على واجب !

ومنذ متى كان للعبيد على السادة حقوق ؟!

حتى إذا أقبل الصباح شهدت أرض نجد فتى أسودَ الوجه .. غليظ الشفتين ، مفتول العضلات .. يحمل عصاه فى حَرِّ البيداء اللافح يَهُش بها على غنم سيده ، ويسوق إبلَه ... فإذا مالت الشمس للمغيب عاد بها !

---

(١) مكان بأطراف نجد على حدود بلاد الحجاز بين مكة والمدينة

كان هذا هو «برنامجه اليومى» ، لا يَحيد عنه ، ولا يُقصر فيه ، ويا ويلَه من سيده شداد وامرأة أبيه «سُمَيّة» إن هو قصر أو تهاون !

فكثيرا ما كانت «سمية» تُوسعُه ضربا وشتما ، وهو صابر على الأذى والإهانة ! لا يرفع عينيه فى سيدته !

وكانت زبيبة أمه ترى هذا الوضع ، وهى تتمزق ألما وحسرة على تلك التفرقة فى المعاملة بين ولدها عنترة ، وأولاد سمية من أبيه !

أليسوا أبناءَ رجل واحد ؟!

إنهم السَّادة ، وهو عبد لهم ليس إلا !! فيا لحظّه السيئ !!

وكثيرا ما سألها عنترة : ابن من أنا ؟ ومَن أبى ؟

لكنها كانت تُخفى فى نفسها عنه ما سوف تُبديه الأيام !

لقد كان شداد قاسيا غليظا ، وكانت زبيبة تخشى على عنترة من أبيه !

كانت تخشى إن هى أخبرته بالحقيقة أن يُفاتح أباه ، فيوُقعَ به ويؤذيه ! ، وربما حدث ما لا تُحمد عقباه !

إن عنترة ابن الأمة ليس أهلا لكى يحمل لقب القبيلة .. قبيلة عبس التى تضم السادة .. والنبلاء .. والأمراء .. والأشراف وفيهم الملك «قيس بن زهير» صاحب الرأى والكلمة النافذة !

فليس الأمر مقصورا على شداد أبيه ، فهو إن اعترف به ، فإن القبيلة تغار على سمعتها ، وتأنف أن يحمل لقبها هذا العبد الأسود ابن زبيبة تلك الأمة الحبشية !

القلب الحنون !

وتلفت عنترة حوله فلم يجد من يبثه آلامه وأحزانه وآماله غير أخويه لأمه : «حنبل» و«شيبوب» ! .. فكثيرا ما كانا يُخَفّفان عنه ما يعانيه .. ويتمنيان أن ينال حريته حتى يأخذ بأيديهما .. ويضع أقدامهما على طريق الحرية !

وقـرر عنتـرة فى نفسـه أمـرا لم يُطْلِع عليـه أحدا .. لكنه راح يعمل فى صمت .. ويُعد العدة لأمرٍ له ما بعده !

إن الحـرية لا توهـب .. ولا تمنح .. ولكن تؤخـذ .. وإنمـا تؤخـذ الدنيـا غِلابا !

لقد كان يرى إخوته من غير أمه يَحظَوْن بالاحترام والتقدير ، وإن كانوا دونه موهبة وشجاعة !

أما إخوته لأمه فهم عبيد !! وراح يسائل نفسه :

إلى متى يظل هذا الوضع ؟!

وكيف السبيل للخلاص منه ؟!

إن السبيل إلى الحرية هو «الفروسية» بحيث يملأ الدنيا ويشغل الناس!

فليتعلم أساليب القتال .. وليتدرب على الفروسية .. وكان له ما أراد !

انتظار وترقب !

وظل عنترة ينتظر الفرصة التى تتيح له أن يستعرض فروسيته على ملأ من الجـميع ، ويُريهم من أمره مـا يجعلهم يعتـرفون بفـضله ، ويقفـون إلى جانبه !

وذات يوم سـمع أن «بنى عـبس» يسـتـعـدون للإغـارة على «قـبيلة طيئ» للأخذ بثأر لهم قديم !

أخذ عنترة - فى صمت - يُهيئ نفسـه ، ويُعِدُّ سيفـه ورُمـحـه وسِهامـه ، ويُمَنِّى نفسـه بلقـاء عظيم يتـألق فـيـه ، ويُلفت إليـه الأنـظار ! ويسـتلب الإعجاب!

وبينمـا هو يفكر إذا بقومه يتداعَوْن للهجوم على طيئ ، وإذا بأبيه شداد يدعوه ليكون إلى جانبه !

وفـرح عنترة كما لم يفرح من قبل ، فقد جاءته الفرصة ، وتسابق القوم نحـو العـدوّ ، الذى فـوجئ بهذا الغـزو العبْسى .. وكانت مـعـركة عظيـمة ..

أظهر فيها عنترة ألوانا من الشجاعة والبطولة .. فلم يواجهه فارس إلا صرَعَه بضربة واحدة من سيفه !

ولم يهرب منه فارس إلا أرداه صريعا بسهم من سهامه !

وإذا المعركة تنتهى سريعا لصالح بنى عبس الذين غنموا مغانم كثيرة بفضل فروسية عنترة وشجاعته النادرة !

إنكار للفضل !!

ولكن القوم حين أرادوا اقتسام الغنائم جعلوا له نصف نصيب غيره من أبناء القبيلة الأحرار !

فعز ذلك على عنترة ، وأبت نفسه أن ينظر إلى ذلك الذى خصصوه له من الغنيمة !

واعتزلهم فى غضب .. وثار الدم فى عروقه .. فقابل أبناء القبيلة ذلك منه بالسخرية !

وآلمه ما قاله «عمرو بن مالك» .. أخو عبلة ! وابن عمه !

لقد علق على موقف عنترة من رفض نصيبه من الغنيمة قائلا :

تبّا لهذا العبد !! ومتى كان للعبيد نصيب فى غنائمنا ؟

وهل نسى أنه ابن زبيبة ؟!

ونظر إليه بعض شبان عبس – حين تركهم – وهم يتغامزون ويتضاحكون مِنْ هذا الذى يأبى إلا أن يقاسمهم ويماثلهم !!

إن غدا لناظره قريب !

وقال عنترة فى نفسه : إن الأيام قادمة .. وإن غدا لناظره قريب .. والليالى من الزمان حبالى يلدن كل عجيب !

ولم يطل الزمن بعنترة ، فقد هجمت «طيئ» تريد الثأر من عبس صباحا

وهم غافلون .. وأمعنوا فيهم قتلا .. واستاقوا إبلهم وغنمهم ، وأسرعوا عائدين إلى ديارهم !

وهب رجال عبس على صراخ الأولاد واستغاثة النساء ، وتهيأ الفرسان لملاحقة العدو ، واستنقاذ إبلهم وغنمهم وأسراهم من أيدى عدوهم !

ولبى عنترة نداء أبيه ، ولكنه قرر فى نفسه ألا يستميت فى الدفاع عنهم وملاحقة عدوهم إلا إذا اعترف به أبوه !!

ورأى شداد أنّ الموقف بحاجة إلى قوة خارقة ، وأن عنترة قادر على قهر العدو وتأديبه !

فالتفت إليه ، وصاح به :

- كُرّ يا عنترةُ !

فقال عنترة : إنما أنا عبد لا يحسن الكرَّ ، وإنما يُحسنُ الحِلابَ والصَّرَّ[1] !

فصاح به أبوه : أما قلت لك : كُرّ يا عنترة ؟!

ألا تمتثل أمرى ؟! كُرّ يا عنترة ..

وأحس عنترة أن لحظة الخلاص قد اقتربت ، وأن فرصته التى كان يحلم بها قد سنحت .. واشتد القتال ، وتأزم الموقف ، وكادت عبس تخسر المعركة .. وتفقد منزلتها بين القبائل .. فتوقفت لغة الكلام ، وخيل إلى شداد أن عنترة يصيح فى وجهه بصوت مدوّ :

أعطنى حريتى .. أطلق يَدَيًّا !!

فلم يتمالك الأب نفسه ، وصرخ فيه :

- كرّ يا عنترة وأنت حر !!

وأحس عنترة أن أخاه «شيبوبا» يهتف به : «ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد !!»

---

(١) الحلاب : حلب الإبل والغنم ، أما الصر ، فهو شد الضرع برباط ، وكانت العرب إذا أرسلوا الحلوبات إلى المراعى «صرّوها» حتى إذا رجعت عشية حلّوها ، وحلبوها .

وكانت هذه الكلمات السحرية مفتاح الحرية .. فاندفع عنترة كالصاروخ ، وإذا بهذا العبد الذليل يصبح بين عشية وضحاها فارسا عملاقا يقود القبيلة إلى النصر ، ويستعيد لها كرامتها ووجودها ! لقد كر وهو يقول :

أنا الهجينُ عنترة

كل امرئ يحمى حِرَهْ[1]

لقد وضع أقدامه على طريق الحرية .. وذاق طعمها لأول مرة ؛ فلقد اعترف به أبوه .. وانحلت عقدة من عُقَدِه الكثيرة !

لقد انتصر العبد الذليل على السادة ، فإذا هو العزيز وهم الأذلاء .. فلولاه لضاعت سمعةُ القبيلة وفقدت مكانتها بين القبائل !

فهل آن للقبيلة أن تعترف به على رأس فرسان عبس كما اعترف به أبوه، بعد أن خلعوا عليه لقب : «أشجع العرب وأشدهم» ؟!

وهل ترضى به القبيلة كفئا لعبلة ابنة عمه مالك بعد أن نال حريته ؟!

إنه يعبر عن آلامه وآماله فيقول[2] :

١- ولولا حُب عبلة فى فؤادى

مُقيمٌ ما رَعَيْتُ لهم جِمالا

٢- عتبت الدهرَ كيف يَذِلُّ مثلى

ولى عزم أَقُدُّ به[3] الجبالا ؟!

٣- أنا الرجل الذى خُبّرتَ عنه

وقد عاينت مع خبرى الفَعَالا

٤- غداةَ غدَتْ بنو طَيٍ وكلْبٍ

تهزُّ بكفُّها السُّمرَ الطُّوالا[4]

---

(١) الهجين : الذى أبوه عربى ، وأمه أعجمية ، يحمى حِرَه ! يحمى عرضه وكرامته .

(٢) الديوان ص ٥٧ .

(٣) أشقها طولا وعرضها ، كناية عن قوة عزمه !

(٤) الرماح .

٥- بجيش كلما لاحظتَ فيه

حَسِبْت الأرض قد مُلئت رجالا

٦- وَدَاسوا أرضَنا بمضَمَّرات[1]

فكان صهيلُها قيلاً وقالا

٧- وما رَدَّ الأعنة غيرُ عبدٍ[2]

ونارُ الحربِ تشتَعِلُ اشتعالا

٨- بطعنٍ تُرْعَدُ الأبطالُ منه

لشدته ، فتجتنب القِتالا

٩- صَدَمْتُ الجيش حتى كَلَّ مُهْرى

وعدتُ فما وجدتُ لهم ظِلالا

١٠- وراحت خيلُهم من وجه سيفى

خِفافا بعد أن كانت ثِقالا

١١- تدوسُ على الفوارس وهى تعدو

وقد أخذت جماجمهم نعالا

١٢- وكم بطلٍ تركتُ بها طريحا

يُحرك بَعْدَ يُمناه الشمالا

١٣- وخَلَّصْت العَذارى والغَوانى[3]

وما أبقيت مع أحدٍ عِقالا

نعم ! لقد هزم السرية المغيرة ، واستنقذ ما وقع فى أيدى طيئ من غنائم ، وحافظ على سمعة عبس ، وأعاد لها كرامتها بعد اعتراف أبيه بنسبته إليه ، وحريته !

---

(١) خيل معدة للسباق ونحوه .

(٢) الأعنة : جمع عنان وهو سير اللجام للفرس .

(٣) الغوانى : جمع غانية وهى التى استغنت بجمالها عن الزينة ! لقد خلص الجميع من الأسر.

ولكن الحاقدين عليه والكارهين له بدت العداوة والبغضاء من أفواههم لهذا الذى صان كرامتهم وسمعتهم !! وما تخفى صدورهم أكبر !!

فها هى ذى «سمية» زوجة أبيه تأبى إلا أن تعامله معاملة العبد .. وكيف لمثله أن يُساوىَ أبناءَها ؟!

سألته مرة ذات مساء : هل حلبت الإبل ؟

فقال لها : لقد أتيت بها تَوّا ،وسأحلبها حالا ، فناولينى الأوعية !

فصرخت فى وجهه : إنك لتعلم مكان الأوعية يا عبدَ السوء .. ما زدتَ على أن جعلتنى خادما لك يا بن زبيبةَ .. يا مشقوق الشّفرين .. يا راعىَ الإبل !

تالله إن جاء شداد لأخبرته بما كان منك .. فإن لم يؤدبك فلن أقيم معه فى بيت يضمُّك يا عبد السوء !

وجاء شداد وهى تتهدده وتتوعده .. فلما رأته ادعت أنه أبى أن يحلب الإبل .. وعصى أوامرها !!

وثارت ثائرة شداد ، وأمسك بعصا غليظة وراح يضربه فى شِدة وقسوة.. وعنترة مستسلم لأبيه لا يتكلم .. ولا يتأوه ! ولا ينطق ببنت شفة !!

ورأت سمية ما حل به .. فاعتراها شىء من ندم ! ولم تتمالك أن ارتمت عليه تحول دون وقوع الأذى به ، ودموعها تسيل على خديها ! فقال عنترة متعجبا(*):

١- أمِن سُمـيـةَ دمعُ العين مَـذْرُوفُ؟

لو أن ذا منك قبل اليوم معروف !(١)

٢- كـأنهـا يوم صـدّت مـا تكلمنى

ظبى بعُسفانَ ساجى العين مطروف(٢)

(*) الديوان ص ٥٠ .

(١) مذروف : ذريف العين أو ذرفها : قطر بكاء يتصل ، وقوله : «لو أن ذامنك غير معروف» : أى أنكرت ذاك الحنو والإشفاق منك ، لأنه لو كان معروفا منها ، ما أنكره .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . ساجى العين : ساكتها . مطروف : أصابت عينه طرفة ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه .

٣- تَجلَّلتنى إذ أهوى العصا قِبَلى

كأنها صنم يُعتادُ معكوف[1]

٤- العبد عبدكم ، والمالُ مالُكمُ

فهل عذابُكِ عَنِّى اليومَ مَصروف[2]

٥- تنسى بلائى إذا ما غارة لحِقت

تخرج منها الطُّوالات السَّرَاعيف[3]

٦- يخرجن منها وقد بُلّت رحائلُها

بالماء تركضها الشُّمُّ الغطاريف

٧- قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرُضٍ

تصفر كف أخيها وهو منزوف

فلما رأى شداد ما كان من سمية كف عن ضربه قائلا : إياك أن تعصى أوامرها !!

وهكذا كان عنترة يواجه التحديات ، ويتلقى الطعنات ممن دافع عنهم ، وتحمل ما تحمل من أجلهم !!

لولا صارمى وسنان رمحى(*) ..!

ولم يجد عنترة عندما كان يشعر بمرارة من جحود فضله على قومه ، إلا

(١) تجللتنى : ألقت نفسها على . وأهوى : اعتمد . صنم يعتاد : أى يؤتى مرة بعد مرة . معكوف : يعكف عليه .

(٢) مصروف : مرفوع .

(٣) السراعيف : السَّراع ، واحدته سرعوفة . والطُّوالات : الخيل .

(٤) الرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع فى الأنف . والغطاريف : الكرام والسادة . والغطرفة: ضرب من السير والمشى يختال فيه .

(٧) النجلاء : الواسعة . عن عُرضٍ ؛ أى : عن رشقٍ وحرف . وقال غيره : أعترضه اعتراضًا حين أقتله .

(*) الديوان ص ٢٦ .

أن يتسلى بالصبر ، ويحتمل القطيعة والبعاد ، ويعزى نفسه بما يقوله مفتخرا :

١- أعادى صَرْفَ[1] دهرٍ لا يُعَادَى
وأحتملُ القطيعةَ والبِعادا

٢- وأُظْهِرُ نُصْحَ قومٍ ضَيَّعونى
وإن خانت قلوبُهمُ الودَادَا

٣- أعَلِّلُ بالمنى قلبا جريحًا
وبالصبرِ الجميل وإن تمادى

٤- تعيِّرنى العِدا بسَواد جلدى
وبيضُ خَصائلى تمحو السوادا

٥- وردتُ الحربَ والأبطالُ حولى
تَهُزُّ أكفُّها السُّمْرَ[2] الصِّعَادا

٦- وخُضْتُ بمهجتى بحرَ المنايا
ونارُ الحربِ تَتَّقِدُ اتِّقَادا

٧- وعُدْتُ مخضَّبًا بدم الأعادى
وكربُ الركضِ قد خضب الجَوادَا

٨- وسيفٌ مُرْهَفُ الحدَّين ماضٍ
تَقُدُّ شِفارُهُ الصخرَ الجمادا

٩- ورمحى ما طعنت به طعينا
فعاد بعينه نظرَ الرشادا

١٠- ولولا صارمى وسِنان رُمْحى
لما رفَعتْ بنو عبسٍ عِمادَا

---

(١) صرف دهر : نوائبه وحدثانه .

(٢) السمر الصّعادا : الرماح . والصِّعاد : جمع صَعدة وهى القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى مثقف يثقف لتكون رمحا .

تعنفنى زبيبة فى الملام(*)

وكثيرا ما كانت تعنفه أمه «زبيبة» على ركوب الأخطار إشفاقا عليه ، وحُبًّا له ، فقال يذكر كلامها له وهو فى بعض المعامع :

١- تُعَنِّفُنى زبيبةُ فى المَلامِ
على الإقدام فى يومِ الزِّحامِ

٢- تخاف علىَّ أن ألْقَى حِمامى[1]
بطَعْنِ الرُّمْحِ ، أو ضَرْبِ الحُسَامِ[2]

٣- مَقَامٌ لَيْسَ تَقْبَلُه كِرامٌ
ولا يَرْضَى به غيرُ اللِّئام

٤- يخوضُ الشيخُ فى بحرِ المَنايا
ويَرْجِع سالمًا والبحرُ طامِ[3]

٥- ويأتى الموتُ طفلاً فى مُهودٍ
وَيلقى حَتْفَه[4] قبل الفِطامِ

٦- فلا ترضَى بمَنقصَةٍ وذُلٍّ
وتَقْنعُ بالقليل من الحُطامِ !

٧- فعيشك تحتَ ظلِّ العزِّ يوما
ولا تحت المَذَلَّةِ ألفُ عامِ

وكثيرا ما كانت العرب تعيره بالسواد ، فلما كثرت الأقاويل فى ذلك أنشد(**) :

لئن أك أسود فالمسك لونى
وما لسواد جلدى من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عنى
كبعد الأرض عن جو السماء

(*) الديوان ص ٧٢ ، ٧٣ .

(١) الحِمام - بكسر الحاء - الموت .

(٢) الحسام : السيف القاطع . وحسام السيف : طرفه الذى يضرب به .

(٣) طام : ممتلئ . (٤) حتفه : هلاكه . (**) الديوان ص ٧ .

بنيت لهم بيتا رفيعا !

وحين تجمعت عليه صروف الدهر ، وتتابعت النكبات ، تلقاها بصبر فصار سواد لونه منقصة له عندهم !

ولم تشفع له تضحياته فى سبيلهم ، فراح يعزى نفسه قائلا[*] :

١- دهتنى صروفُ الدهرِ وانتشب الغدرُ[1]

ومَن ذا الذى فى الناسِ يصفو له الدهر

٢- وكم طرقتنى نكبةٌ بعد نكبةٍ

ففرّجتُها عنى ، وما مَسّنىَ ضُرُّ!!

٣- ولولا سِنَانى[2]، والحسامُ ، وهِمّتى

لما ذُكِرَتْ عبسٌ ، ولا نالها فَخْرُ

٤- بنيت لهم بيتًا رفيعًا من العُلا

تخِرُّ له الجوزاءُ ، والفرع ، والغَفرُ[3]

٥- وها قد رحلت اليوم عنهم وأمرنا

إلى مَن له فى خلقه النّهْى والأمرُ

٦- سيذكُرُنى قومى إذا الخيلُ أقبلت

وفى الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ

٧- يَعيبون الوَفِىّ بالسَّواد جهالةً

ولولا سوادُ الليل ما طلع الفجرُ

٨- وإن كان لونى أسودًا فخصائلى

بياض ، ومن كفّى يُستنزَل[4] القَطْرُ

٩- مَحَوْتُ بذكرى فى الورى ذكرَ مَن مَضى

وسُدْتُ ، فلا زيدُ يقالُ ولا عمرو[5]

(*)الديوان ص ٤١ .

(١) صروف الدهر : نوائبه وحِدْثانه . جمع صَرْف . وانتشب الغدر : اعتلق وعلقت مخالبه به.

(٢) سنانى : سنان رمحه .

(٣) الجوزاء : برج من بروج السماء : والفرع من كل شىء : أعلاه . والغَفْر - بفتح الغين - منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار فى برج السنبلة ، وهى المنزل الخامس عشر من منازل القمر .

(٤) يفيض الخير . (٥) ذكر غطى على الجميع .

حتى أنت يا قيس بن زهيـر !!

وحتى «قيس بن زُهير» الذى أنقذ عنترة سمعته لم يسلم عنترة من لسانه!!

فذات يوم تجمعتْ بنو عبس ، وغزت بنى تميم .. وكان «قيس بن زهير» على رأس بنى عبس !

ودارت الدائرة على بنى عبس فانهزموا ، وارتدوا على أعقابهم ، فتعقبتهم بنو تميم ، وضيقوا الخناق عليهم !

ولكن عنترة وقف فى وجوههم ومعه جمع من الناس ، فلم ينهزموا ، فارتدت بنو تميم أمام تلك المقاومة الباسلة !

فساء ذلك قيس بن زهير ، كيف يفعل عنترة ما عجز هو عنه وهو الملك الآمر الناهى !؟ ، فقال حين رجع الناس .. «والله ما حقن دماءَ الناس إلا ابن السوداء!!»

وبلغ عنترة هذا القول الذى جرح مشاعره ، وأساء إليه !

وكان قيس أكولا ، فقال عنترة يعرض به :

ناديتُ عبسًا فاستجابوا بالقنا
وبكل أبيضَ صارم[1] لم يُفْلَلِ

ولقد أبيتُ على الطَّوَى[2] وأظَلُّه
حتى أنالَ به كريمَ المأكل

والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أننى
فرقتُ جمعَهم بضربةِ فَيْصَلَ[3]

إنى امرؤ من خير عبس منصِبا
شطرى ، وأحمى سائرى بالمنصل[4]

إن نسبه إلى أبيه يعلى من قدره .. أما نسبه إلى أمه ففى سيفه ما يعوضه ، وشتان بينه وبين قَيس بن زهير فإنه عفيف يبيت طاويا حتى ينال كريم المأكل !

---

(١) القنا : الرماح ، والأبيض الصارم : السيف القاطع . الذى لم يُفلَلِ : لم يتكسر ، وكان سليم الحد .

(٢) الطوى : الجوع .

(٣) ضربة فيصل : قاصمة قاضية . (٤) المُنصُل : السيف . الديوان ص ٦٤ .

للصبر حدود !

وأمام نكران الجميل ، وتطاول الجميع عليه ، وتوجيه الإهانات إليه خرج عنترة عن قومه غضبان أسِفًا !

ونزل على بنى عامر ، وأقام فيهم زمنا !!

وفى هذه الأثناء أغارت «بنو هوازن وجُشم» على ديار عبس ، وكان على هوازن يومئذ دُرَيْد بن الصِّمة !

فأرسل قيس بن زهير - وكان سيد عبس - يستمد عنترة ويطلب عونه ، وهو الذى تناوله من قبل بلسانه !

فأبى عنترة وامتنع !

ولما عظُم الخطب على بنى عبس خرجت إليه جماعة من نساء القبيلة بينهن «الجُمانَة» ابنة قيس !

فلما قدمن عليه ، طلبن منه أن ينقذ القبيلة وينهض معهن وإلا هزمت ، وتشتت شملها !

فاستجاب لهن عنترة ، واشتعل قلبه حماسا ، وهب للدفاع عن القبيلة ونجدتها ..

وفى ذلك يقول(*) :

١- سَكتُّ ، فغَرَّ أعدائى السكوتُ
وظَنّونى لأهلى قد نسيتُ

٢- وكيف أنام عن ساداتِ قومٍ
أنا فى فضلِ نعمتهم ربيتُ

٣- وإن دارت بهم خيلُ الأعادى
ونادونى أجبت متى دُعيتُ

(*) الديوان ص ١٦ .

٤- بسيفٍ حَدُّه موجُ المنايا

ورُمْحٍ صَدْرُه الحتْفُ المميتُ

٥- خُلقتُ من الحديد أشدُّ قلبا

وقد بَلى الحديدُ ، وما بَليتُ

٦- وإنى قد شربتُ دمَ الأعادى

بأقحافِ[1] الرءوس وما رَويتُ

٧- وفى الحرْب العَوَانِ وُلِدْت طفلا

ومن لبن المَعَامع قد سُقِيتُ

٨- فما للرمحِ فى جِسمى نصيبٌ

ولا للسيفِ فى أعضائى قوتُ

٩- ولى بيت علا فلَكَ الثريا[1]

يخِرُّ لعُظْمِ هيبتِه البيوتُ



(١) الأقحاف : جمع قحف ، أحد أقحاف ثمانية تكون علبة عظمية هى الجمجمة ، وفيها الدماغ .

(٢) الثريا : مجموعة من النجوم فى صورة الثور ، وكلمة النجم علم عليها .

شاعر الشعراء وصاحب المعلقة !

ما سابقَ الناسُ يومَ الفضلِ مكْرُمَةً

إلاّ بدرْتُ إليها حيث تستبِقُ !

عنترة بن شداد



أول ما قال من الشعر

كان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة !

وذات يوم سابَّه رجل من بنى عبس ؛ فذكر سواده ، وسواد أمه ، وسواد إخوته ، وعَيَّره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فقال له عنترة :

● والله إن الناس لَيَترافدون بالطُّعمة[1] ، فما حَضَرْتَ مَرْفَدَ الناس أنت ولا أبوك ، ولا جَدُّك قط !

● وإن الناس لَيُدْعون فى الغارات فيُعرفون بتسويمهم[2] فما رأيناك فى خيل مُغيرة قَطّ .

وإن اللَّبس ليكون بيننا ، فما حضرتَ أنت ولا أبوك ولا جَدُّك خطةَ فَيْصل[3] !

وإنما أنت فقع بقرقر[4] !

وإنى لأحتضر البأسَ ، وأُوفى المغنم ، وأعِفُّ عن المسألة ، وأجود بما مَلكت يدى ، وأفصلُ الخطة الصمعاء[5] !

وأما الشعر فستعلم ، فكان أولُ ما قال قصيدة

❖ هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ[6] ❖

---

(١) الرِّفد : العطاء ، والترافد : التعاون والتواصل . والطعمة : الطعام ، والدعوة إليه .

(٢) بتسويمهم : أى بإعلامهم أنفسهم فى الحرب بعلامة .

(٣) اللبس : أى الأمر الملتبس والغامض ، والشىء المتنازَع عليه . فيصل : فصل فى الخصومات .

(٤) الفقع : الرخو من الكمأة ، وهو أردؤها . والقرقر : الأرض المطمئنة اللينة ، وهو مثل يقال: «أذل من فقع بقرقر» ؛ لأن الدواب تدفعه بأرجلها ، ولا أصول له ، ولا أغصان .

(٥) الصمعاء : الماضية .

(٦) المتردم : الموضع الذى يستصلح لما اعتراه من وهن . ويسترقع .

يقول : هل تركت الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد رقعوه وأصلحوه .. إنهم لم يتركوا شيئا يقال فيه شعر إلا وقد صاغوه ، فما ترك الأول للآخر شيئا !

وهى أجود شعره ، وكانوا يسمونها «المُذْهبَة» .

لقد سلك عنترة طريق الشعر ليصبح أحد أصحاب المعلقات ! بعد أن صار فارس الفرسان !

إن القبيلة تحتاج إلى الشاعر لحمايتها كما تحتاج إلى الفارس الذى يحمى حماها . إن طموحه وآماله بلا حدود !

وكما تدرب عنترة ليكون فارسا تدرب كذلك ليكون شاعرا يملأ الدنيا ويشغل الناس بشعره ، فإذا هو أحد أصحاب المعلقات ! من فحول الشعراء وفطاحلهم :

فكانت معلقته أشبه بالدر الذى يعلق على صدور الحسناوات ، وبهذا كانت من المعلقات !

إنه لم يعد فارس القبيلة وحاميها فحسب ، بل هو أيضا شاعرها وصوتها المتحدث بلسانها بين القبائل !

لقد دفعه طموحه إلى أن يتفوق على الفرسان جميعا فإذا هو «عنترة الفوارس» أو «أبو الفوارس» أشجع العرب وأشدها !

ودفعه طموحه إلى أن يتفوق على شعراء القبيلة كلهم ، فإذا هو شاعر الشعراء ، وأحد الفحول الذين خلد العرب نِتَاجَهم ، ووضعوه موضع التكريم والتعظيم !

إن أصحاب المعلقات فى الجزيرة العربية كلها يعدون على أصابع اليدين فحق لعنترة أن يفخر ، ويعتز بما حققته فروسيته وشاعريته !

ولم يكن عنترة قدوة بين أهل زمانه فحسب ، بل إنه صار قدوة لما جاء بعده من عصور ، على الرغم مما طرأ على حياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية من تطور بعيد!

حتى إن بعض القيم وجدت من يُعلى من قدرها بعد ظهور الإسلام الذى جاء بعده بسبع سنوات !!

أليس هو الذى يقول :

وأغُضُّ طرفى مـــا بدت لى جـــارتى

حـــتى يوارى جـــارتى مـــأواها ؟!!!

أليس هو الذى يقول :

ولقـــــد أبيتُ على الطوى وأظلُّه

حـــتى أنال به كـــريمَ المأكلِ ؟!

أليس هو الذى يقول فى معلقته :

أثنى علىّ بما علمت فـــإننى

سـمحٌ مـخـالقـتى إذا لم أُظلَم !

فـإذا ظُلِمتُ فـإن ظُلْمِىَ باسل[1]

مُـرٌّ مـذاقـتـه كطعم العَلْقَمِ ؟!

أليس هو القائل فى معلقته :

هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مـالكٍ

إن كنت جـاهلة بما لم تعلمى

يُخْبِرْك مَن شَهِدَ الوقائع أننى

أغشى الوَغى[2] وأعِفُّ عند المغنَمِ ؟!

إنه يتغنى فى شعره بمكارم الأخلاق ، ويمتدح الشجاعة ، وصفات البدو من كرم ، ومروءة ، وعفة ، وعزة نفس .. تلك الصفات العربية الأصيلة التى كان يمتاز بها العرب فى ماضى الزمان .. وما أشد حاجتنا إلى مثلها اليوم لتكون من بين مقومات ثقافتنا !

---

(١) باسل : كريه .

(٢) الوغى : الحرب .

فروسية عنترة فى مرآة شعره !

هَلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ

إن كُنتِ جاهلة بما لم تعلمى

يُخْبِرْكِ مَن شَهِدَ الوقائعَ أننى

أغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المغْنَمِ

عنترة بن شداد



فــارس الفـرســـان

لقد أصبح عنترة بكلمة واحدة قالها أبوه فارسَ الفُرسان ، تأتمر عبس بأمره ، فُتقدِم حين يُقدم ، وتُحجم حين يُحجم ! وليس أدلّ على هذا من ذلك الحوار الذى ذكره «الأصبهانى» بين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- والحُطيئة الشاعر :

قال عمر بن الخطاب للحطيئة :

- كيف كنتم فى حربكم ؟

- قال : كنا ألفَ فارس حازم !

- قال : وكيف يكون ذلك ؟

- قال : كان «قيس بن زُهير» فينا ، وكان حازما ؛ فكنا لا نعصيه ! وكان فارسنا «عنترة» ، فكنا نحمل إذا حَمَل ، ونُحجم إذا أحجم ! وكان فينا «الربيع بن زياد» ، وكان ذا رأى ، فكنا نستشيره ، ولا نخالفه !

وكان فينا «عُروة بن الورد» ، فكنا نأتَمُّ بشعره !

فكنا كما وصفت لك !

قال عمر : صدقت !

لقد قرر عنترة أن يكون ابنا للحرية فنالها .. بل وصار أبا لها !

وقرر عنترة أن يكون فارس عبس المدافع عن حماها ، فكان له ما أراد ، وأصبح أبا للفوارس !

فكيف تسنى له ذلك ؟ وكيف حقق ذاته ، وأثبت وجوده ، وفرض نفسه على واقع أليم ، وتقاليدَ كانت ممعنة فى إذلاله ، فإذا هو الفارس الماجد الذى لا يُشَق له غبار وإذا هو الفارس العفيف الذى يصون حليلة جاره ، ويعف عند المغنم ! .. وقرر أن يكون لشعره شأن بين القبائل فإذا هو أحد أصحاب المعلقات !

---

(١) الأغانى : ج ٨ طبعة دار الكتب .

فما تلك الأخلاق التى رشحته لنيل هذه المنزلة ؟

وكيف كانت القبائل تحيا فى الجاهلية قبل ظهور الإسلام ؟

وأى فروسية كانت فروسية عنترة ؟

أهى فروسية حربية ؟

أم أصبحت فروسية خلقية سامية ، فيها الحب الطاهر العفيف ، وفيها التسامى عن الدنايا والنقائص ؟!

فتعال إلى الفارس الذى ملأ الدنيا وما زال يشغل الناس حتى عصرنا !

تعال إلى شعره .. فالشعر كما يقولون : ديوان العرب وسجلهم !!

تعال لنجد إجابات شافية عن كل تلك التساؤلات ..

داحس والغبــراء !

لقد كان عنترة أحد فرسان حرب «داحس والغبراء» التى نشبت بين الأخوين : عبس وذُبيان ، ابنى بغيض ، واستمرت أربعين سنة !

وقد أظهر فيها عنترة بطولات رائعة اشتهرت ، وذاعت بين القبائل ، فخَشُوا بأسَه ، وحاولوا أن يتجنبوه فى حروبهم ! وقد قَتَل فى هذه فرسانًا كان لهم شأنهم ، منهم : «ضمضم أبو الحصين المرّى» ، «والحارث بن بدر» ..

وكان سبب هذه الحرب أن «قيس بن زهير» و«حَمَل بن بدر» تراهنا على «داحس» فرس قيس بن زهير و«الغبراء» فرس حَمَل بن بدر ! أيهما يكون له السبق ؟!

وللفائز مائة بعير ، وجعلا منتهى الغاية مائة غَلوة[1] يسبق ذلك الرِّهان إعداد للفرسين مدته أربعون يوما !!

وأعد حمل بن بدر كمينًا فى الطريق لداحس إن سبق فرسه الغبراء فلما شارف داحس الغاية ، ودنا من الفِتية وثبوا فى وجهه ، فردوه عن الغاية حيث مكنوا الغبراء من السبق !

---

(١) الغلوة : مقدار رمية سهم . وتقدر بثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة . والمراد بمنتهى الغاية : مسافة السباق .

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض وكان ما كان !

ولم ينسَ عنترة أبدًا حق السيف عليه بعد أن نال حريته واعترفت به القبيلة وصار فارسَ عبس ، فنراه يقول(*) :

دَعُونى أُوَفِّى السيفَ حقَّه

وأشربُ من كأسِ المنيةِ صافيًا

ومَن قال : إنى سيد وابن سَيِّدٍ

فسَيْفى وهذا الرمحُ عَمِّى وخاليا

ولقد استمرت الحرب بين عبس وذبيان أربعين عاما أذابت الشحم ، وأكلت الأخضر واليابس ، وإذا بعَبْس يجلون عن ديارهم ، وينزلون بشتى القبائل ، فضاقوا بهم ذرعا حتى لم يعد لهم ملجأ إلا ظهور خيولهم ، وأسنة رماحهم !

وعلى الرغم من ذلك كله ظل عنترة درعَ القوم السابغة ، وحصنهم الحصين ، يذود عنهم .. ويحمى حماهم !

وكيف لا ، وهو أبو الفوارس الذى لا يُشَقُّ له غبار ؟!

فما أكثر المعارك التى خاضها !

وما أكثر الأبطال الذين واجههم !

وإن أيام العرب لتشهد له بذلك .. هذا .. ولم يكن عنترة سفاكا للدماء ، أو راغبا فى الحرب مع شجاعته وبطولته ، بل إنه كان نادما على قبول القبائل للسباق الذى تسبب فى هذه الحرب ، فنراه يقول فى قصيدة يرثى «مالك بن زهير» العبسى وكان صديقا له(**) :

١- ألا ياغُرابَ البَيْن فى الطيرانِ

أعرنى جناحا قد عدمت بنانى(١)

(*) الديوان ص ٥٩ .

(**) الديوان ص ٨٦ - ٨٧ . وانظر العقد الفريد . كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعها .

(١) البين : الفرقة وغراب البين يتشاءم به ، لأنه نذر الفرقة ، وكان ذلك قبل الإسلام ، فلا شؤم فيه !

ويطلق البنان على اليد ، والمراد أن مالكا كان لعنترة بمنزلة اليد .

٢- تُرى..هل علمتَ اليومَ مقتلَ مالك

ومَصْرَعَهُ فى ذِلَّةٍ وهَوانِ

٣- فلو كان حقا فالنجومُ لفقده

تغيب ، ويَهوِى بعده القمران[١]

٤- لقد كان يومًا أسودَ الليلِ عابسًا

يخاف بلاءَ طارقِ الحَدَثَان[٢]

٥- فلِلَّهِ عينًا من رأى مثلَ مالك

عقيرة قومٍ إن جرى فرسان[٣]!

٦- فليتهما لم يجريا نصف غلْوَةٍ

وليتهما لم يُرسَلا لرهانِ[٤]!!

٧- وليتهما كانا جميعا ببلدة

وأخطاهما قيس فلا يريان

٨- فقد جلبا حَيْنًا وحربا عظيمةً

تُبيدُ سراة القوم من غَطفان[٥]

٩- وقد جلبا حَيْنا لمصرع مالك

وكان كريمًا ماجدا لهجان[٦]

١٠ - وكان لدى الهيجاء يحمى ذِمارها

ويطعن عند الكرّ أىَّ طعان[٧]

---

(١) القمران : الشمس والقمر . ويهوى : يسقط من علو .

(٢) الحدثان : الليل والنهار . والطارق : الحادث .

(٣) عقيرة قوم : ما عقر من صيد وغيره والساق المقطوعة .

(٤) الغلوة : مقدار رمية سهم .

(٥) الحيْن : الهلاك ، وسراة القوم : أشرافهم وسادتهم .

(٦) يقال : رجل هِجَان ، كريم الحسب نقيه . وامرأة هجان : عقيلة قومها ، فهو ينتمى لهجان، ولأصول طيبة .

(٧) الهيجاء : الحرب . والذِّمار : ما ينبغى حياطته والذود عنه كالأرض والعرض . ويقال : هو حامى الذمار .

١١- به كنت أسطو حينما جَدّت العدا

- غداة اللُقا-نحوى بكل يَمانى[١]

١٢- فقد هدّ ركنى فقدُه ومُصابُه

وخلّى فؤادى دائمَ الخَفَقَان

١٣- فوا أسفا كيف انثنى عن جواده

وما كان سيفى عنده وسنانى[٢]

١٤- رماه بسهم الموت رامٍ مُصَمّمٌ

فيا ليته لما رماه رَمانى

١٥- فسوف ترى إن كنت بعدك باقيا

وأمكننى دهرٌ وطولُ زمانى

١٦- وأُقْسِمُ حَقّا لو بقيت لنظرة

لقرت بها عيناك حين ترانى

ومع ما كان عليه عنترة من قوة وبأس ، فقد كان متواضعا لا يُداخله الغرور الزائف ، فقد قيل له : أأنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا .

فسئل : ففيم شاع لك هذا فى الناس ؟

قال : كنت أقْدِم إذا رأيت الإقدام عزما ، وأُحجم إذا رأيت الإحجام حَزْما ، ولا أدخل إلا موضعا أرى لى منه مَخْرجا .

وكنت أعتمد[٣] الضعيف والجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ، فأُثَنِّى عليه فأقتله !!

إنه يصور فى شىء من الصراحة والتواضع حُنْكَة[٤] الفارس الخبير بالحروب ، فليستْ الشجاعة تهورا ، وإنما هى الإقدام فى موضع الإقدام ،

---

(١) أسطو : أهجم . يمانى : سيف قاطع .

(٢) سنانى : رمحى .

(٣) أعتمد الضعيف : أقصده .

(٤) تجربته وبصره بالأمور .

والحَذَر فى موضع الحَذر ، وقد يكون التقهقر خطة ناجحة يلجأ إليها الشجاع لينتصر ..

وهكذا كان عنترة ذا نفس وثابة عالية تأبى ذل العبودية! وهكذا .. كانت بطولته ، وفروسيته ! رمزا للشهامة والنجدة والعفة !

وقد اشتهر من فرسان عبس كثيرون غير عنترة لكن عنترة كانت له الكلمة.. وكانت له القيادة !! أليس أبا الفوارس ؟! وفارس عبس غير منازع!

يوم المصانع

ما أكثر المعارك التى خاضها عنترة ، وخرج منها ظافرا منتصرا ! وإنا لنراه يسجل انتصاراته بشعره ، فالشعر ديوان العرب ، وسجل أيامها ومفاخرها .

ويقول فى «يوم المصانع»[1] :

إذا كشف الزمانُ لك القِناعا

ومدّ إليك صرفُ الدهرِ باعَا

فلا تخش المنية وارتقبْها

ودافع ما استطعت له دفاعَا

ولا تختَرْ فِراشا من حرير

ولا تبك المنازلَ والبقاعَا

وحولَك نِسْوةٌ يندُبن حُزْنًا

ويَهتِكْن البَراقعَ واللِّفاعَا

يقول لك الطبيبُ : دواك عندى

إذا ماجَسّ كفك والذراعَا

(١) المصانع : القرى ، وأحباس الماء ، والحصون . الديوان ص ٤٩ – ٥٠ .

ولو عرف الطبيبُ دواءَ داءٍ
يردّ الموتَ ما قاسا النزاعَا
وفى «يوم المصانع» قد تركنا
لنا بفعالنا خبرا مُشَاعَا
حِصانى كان دَلاَّل المنايا
فخاضَ غِمارها وشَرى وباعا
وسيفى كان فى الهيجا طبيبا
يداوى رأس من يشكو الصداعا
أنا العَبْدُ الذى خُبِّرتَ عنه
وقد عاينتنى فدَعِ السماعا
ولو أرسلتُ رُمْحى مَع جَبانٍ
لكان بهيبتى يلقى السِّباعا
ملأت الأرضَ خوفا من حُسامى
وخَصمى لم يجد فيها اتساعا
إذا الأبطالُ فرَّت خوفَ بأسى
ترى الأقطار باعًا أو ذراعا

ولا يفتأ عنترة يلاقى الأبطال .. ويواجه الفرسان وينتصر عليهم ، ويلقنهم درسا لا ينسى !

لقد كان له معهم أكثر من لقاء ..

وكانت له الغلبة دائما !!

هو وعمرو بن وُدّ العامرى

ها هو ذا عمرو بن وُد العامرى من فرسان العرب وصناديدها الذين يشار إليهم عند الملمات ، ويُخشى بأسُهم !

كان له لقاء مع عنترة ، ويقول عنترة عند مبارزته :

١-شَرَيْتُ[1] القنا من قبل أن يُشْتَرى القنا

ونلتُ القَنَا من كلِّ أشوسَ عابسِ

٢- فما كلُّ من يَشْرِى القَنَا يطعَنُ العِدا

ولا كُلُّ من يَلْقَى الرجالَ بفارسِ !

٣- خرجت إلى القوم الكمىّ[2] مبادرًا

وقد هَجَسَتْ فى القَلْبِ منى هواجِسِى

٤- وقلتُ لمُهرِى- والقَنَا يَقْرَعُ القَنَا-

تَنَبَّه ، وكن مستيقظا غيرَ ناعسِ

٥- فجاوبَنى مُهرى الكريمُ ، وقال لى :

أنا مِن جِيادِ الخيلِ..كن أنت فارسى

٦- ولما تجاذبنا السيوفَ وأُفْرغت

ثيابُ المنايا كنتُ أول لابِسِ[3]

٧- ورُمْحِى إذا ما اهتزَّ يومَ كريهةٍ

تخِرّ له الأُسود القُناعِسُ[4]

---

(١) القنا : الرماح . وشريتها : أخذتها بثمن . وقد تأتى شريت بمعنى بعث كما فى القرآن الكريم . ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف : ٢٠] والأشوس : الجرىء الشجاع .

(٢) الكمِىّ : البطل المدجج بالسلاح .

(٣) أول لابس لثوب المنية ، فمن طلب الموت وهبت له الحياة .

(٤) يوم كريهة : يوم حرب ، والقُناعس بالضم : العظيم الخَلْق ، والجمع بفتح القاف .

٨- وما هالنى يا عبلُ فيك مهالك

ولا راعنى هولُ الكمِىُّ الممارسِ

٩- فدونَك[١] ياعمرو بن وُدّ ولا تحُلْ

فرُمْحِى ظمآنٌ لدمِ الأشاوشِ

شجاعة عنترة وجرأته :

ويصور لنا فى إحدى قصائده شجاعته وجرأته تصويرا باهرا فيقول[*] :

بكَرَتْ تُخَوِّفنى الحُتُوفُ كأننى

أصبحتُ عن غرض الحُتوفِ بمعزلِ[٢]

فأجبتُها إن المنيةَ مَنْهَلٌ

لا بُدَّ أن أُسْقَى بكأس المنهَلِ[٣]

فاقنَىْ حياءَك لا أبا لك واعلمى

أنى امرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ[٤]

إن المَنيّة لو تُمَثّل مُثّلتْ

مِثْلى إذا نزلوا بضَنْك المنزلِ[٥]

والخيلُ ساهمة الوجوه كأنما

تُسقَى فوارسُهَا نَقيعَ الحنظَلِ[٦]

إنه لا يستمع لتخويف صاحبته له مما قد يلقاه من المكاره والمتالف ، بسبب إقباله على الحروب ، بل إنه ليُصِمّ أذنيه عن ندائها قائلا لها :

إن المنية مورد كل إنسان ، ولا بد أن أموت ! ، فليكن موتى شريفا فى ميدان الحروب .

---

(١) دونك : تأتى بمعنى خذ ، وهى اسم فعل ، وبمعنى الوعيد والتهديد كما هنا . ويقال : حال عن ظهر دابته : انقلب .

(*) الديوان ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) الحتوف : المهالك والمتالف . (٣) المنهل : المورد . (٤) اقنى : احفظى وصونى .

(٥) الضنك : الضيق . (٦) ساهمة : متغيرة .

وترتفع المعانى النبيلة عنده إلى أروع صور النبل الخلقى حتى إنه ليرق لأقرانه الذين يسفك دماءهم !

فها هو ذا فى معلقته يقول ، وقد أخذه التأثر والانفعال الشديد لبطشه بأحد الأبطال الكرماء :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريمُ على القنا بمحرّم

ألا تراه يرفع من قدر خصمه ، فيصفه بالكرم .. كرم الأصل .. ويقول : إنه مات ميتةَ الأبطالِ الشرفاء فى ساحة القتال !

وها هو ذا يَجيش بنفسه إحساس عميق نحو فرسه الذى عايشه وعاشره ورافقه فى كل حروبه - حين تنال منه سيوف أعدائه ورماحهم ؛ فيقول مصورا آلامه وجروحه الجسدية وقروحه النفسية :

فازوَرّ[1] من وقع القنا بلَبانه

وشكا إلىّ بعَبْرةٍ وتحمحُم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى

ولكان - لو علم الكلامَ - مُكلِّمى[2]

وكأنما كان فرسه بضعة من نفسه !!

■ رقته فى معاملة النساء :

وبهذه الرقة ، وتلك الرحمة ، كان يعامل النساء سبيات ، وغير سبيات ! فإذا سَبَى امرأةً لم يقرَبْها إلا بعد أداء صَداقِها إلى أهلها !

---

(١) الأزورار : الميل . والتحمحم : من صهيل الفرس ما كان فيه الحنين ليرق له صاحبه . والمعنى فمال فرسى مما أصابت رماح الأعداء صدره ، ووقوعها به . وشكا إلى بعبرته وحمحمته ، أى : نظر وحمحم لأرق له .

(٢) لو كان فرسى يعلم الخطاب لاشتكى إلى مما يقاسيه ويعانيه ، ولكلمنى لو كان يعلم الكلام. يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا إلى مما أصابه من الجراح . انظر المعلقات للأستاذ محمد إبراهيم سليم .

وكما أن للسَّبيَّة حُرمتَها ، فامرأة الجار ، وخاصة إذا كانت زوجةَ صديق أشد حرمة ، فإنه يغض طرفه عنها ، ولا يتبعها قلبه وهواه !

يقول :

ما استمتُ أنثى نفسَها فى مَوطنٍ

حتى أوَفِّىَ مهرَها مولاها

أغشى فتاةَ الحَىِّ عند حَليلها

وإذا غزا فى الحرب لا أغشاها

وأَغُضُّ طرفى ما بدت لى جارتى

حتى يُوارِى جارتى مأواها

إنى امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجِدٌ

لا أُتْبِعُ النفسَ اللَّجُوج هواها

إنه يصور لنا «المروءة الجاهلية» فى أكمل صورها وأجملها ، وهى مروءة طرزها حب عفيف لابنة عمه عبلة !

وصحيح أن هذا الحب إنما شاع فى بوادى نجد فى أثناء العصر الأموى، بسبب المعانى الروحية التى بثها الإسلام فى نفوس العرب ، وهو لم يَشعْ فى الجاهلية ، لكنه ظهر عند بعض الأفراد من الفرسان مثل عنترة ؛ فقد كان يتسامى لا في خلقه فحسب ، بل أيضا فى حبه !

وقد جعله ذلك يستشعر غير قليل من الأسى والحزن حين رفض عمُّه يدَه فلم يزوجه من ابنته ، ومضى يُحبها حبا عفيفا ، أو قل يائسا محروما ، فيه طهارة النفس ونقاؤها ، وفيه الفؤاد الملذَّع : الذى يكظم حزنه ، فتفضحه عبراتُه :

أَفَمِن بُكاءِ حمامةٍ فى أيكةٍ

ذَرَفَتْ دموعُك فوق ظهر المِحْمل[1]

---

(١) أيكة : شجرة . ذرفت : سالت . المِحمل : علاقة السيف .

فالحمام يُهيجه ، كما يُهيجه النسيم الذى يَهبُّ من صَوْبها ، وكما تُهيجه الرسوم والأطلال ، إذ يعبث الحنين بعقله ، وبقلبه . يقول فى معلقته :

حُـيِّـيتَ مِن طَلَلٍ تقـادَم عـهـدُه

أقـوى وأقـفـر بعـد أم الهـيـثم[1]

ولقـد نزلتِ - فـلا تظنى غـيـره -

مـنـى بمـنـزلـة المحـبُ المُـكْـرَمِ

ونراه فى حالة شوق دائم يعبر عن ظمأ شديد إلى رؤيتها ، لا لغاية حِسِّيَّة، ولكن ليمتع ناظريه بجمالها .

وإنه ليقوم بمغامراته من أجلها .. فمن أجلها يحارب ، ومن أجلها يخاطر ، ومن أجلها يغامر ، ومن أجلها يسْتَبْسِل[2] فى القتال ، ومن أجلها يذود عن قومه ، ويحمى حماهم ، ومن أجلها يسوق كل مناقبه ومحامده ، وحين يشتد القتال يلمح خيالها أمام عينيه ، فيندفع كالثور الهائج يقول :

ولقـد ذكـرتُك والرمـاحُ نواهلٌ

منـى ، وبيض الهند تقطُر من دمى

فـودِدْت تقـبـيلَ السـيـوف لأنهـا

لمعت كـبـارق ثغـرِك المتـبـسم

فهو دائم الذكر لها فى وغَى الحرب ، حتى حين تعبث به سيوف أعدائه ورماحهم . إنه من أجلها يحارب ، ويخاطر ، ويغامر ، فلا غرو أن يذكرها فى ساعات القتال الحرجة ، فإذا هو يتحول إلى أسدٍ ضارٍ لا يعبس ، بل يبتسم ، لأنها تتراءى له من خلال بريق السيوف فيؤمن بأنه منتصر ! .. إنه الحب !

---

(١) أقوى وأقفر : خلا من ساكنيه . بعد محبوبته عبلة !

(٢) العصر الجاهلى - دكتور شوقى ضيف - تاريخ الأدب العربى .

أهكذا يفعل الحب ؟!!

عُبَيْلَةُ هذا دُرٌّ نظمٍ نظمتُه

وأنتِ له سِلْك وحُسْنٌ ومَبْهَجُ

عنترة بن شداد



التحدى الكبير

فى المرحلة الأولى من حياة عنترة تفتحت عيناه على ابنة عمه مالك «عبلة» !!

أبوها أحد سادة قبيلة عبس ، وأبرز أشرافها ، وإليها يتطلع كل شباب القبيلة ، بل أشرف فرسانها ، وحُماتها ، فأنَّى لمثله بها ؟!

فما هو فى نظر القبيلة إلا راعى إبل وغنم مهدور القيمة والكرامة ، فى مجتمع لا يعرف الفضل والمكانة إلا لأصحاب السيف ، والخيل ، والقول !

لقد صادف حبها قلبا خاليا فتمكن !

إن الحصول على عبلة يبدو مستحيلا فى نظر أخويه : «حنبل» و«شيبوب» ، وقد أسَرَّ إليهما بما يُكنه نحوها بين جوانحه !

فنصحاه بالعدول عن طريق عبلة !

إن الحب وحده .. والسهر فى ليالى الصحراء المقمرة .. ومناجاة الأطياف والأشباح - كما هو شأن - المحبين المتيَّمين ، والتغنى بالأشواق والأشجان .. كل ذلك لا يُجدى شيئا أمام الحواجز والسدود تلك التى كانت تقف حائلا فى وجه هذا الحب وتجعله محرّما محظورا على عنترة !

ولقد كان على عنترة أن ينتهز الفرصة المواتية ليخلع ثياب الراعى إلى الأبد .. ويرتدى ثياب الفرسان التى خُلق لها ، وخلقت له رغم أنف كل الاعتبارات التى كانت تحول دون وجود فارس عبد !

ولقد اعترفت به القبيلة فارسا من فرسانها ، وبطلا من أبطالها ولكن اعتراف القبيلة بعنترة فارسا لا يكفى !

إن عبلة سيدة فتيات عبس لا ترضى لنفسها إلا سيدا حرا كريما من فرسان بنى عبس .. بل سيد فرسان الجزيرة كلها ! وأبوها مالك ، وأخوها عمرو يرفضان عنترة ويكرهانه !

وهنا بدأت التحديات الكبرى تجابه عنترة ويواجهها بكل ما أوتى من فروسية وشجاعة !

فكانت له رحلات لمواجهة الأبطال والفرسان والانتصار عليهم باسم عبس .. وباسم محبوبته عبلة !

وكانت له رحلة إلى بلاد كسرى لإحضار «النوق[1] العصافير» من النعمان ابن المنذر ملك الحيرة ليقدمها مهرا لعبلة كما طلب أبوها !

ثم كانت له رحلة إلى مكة للقاء الشعراء ، ليُعترف به كأحد شعراء المعلقات ..

وليصبح من حقه أن يفوز بعبلة خالصة له قلبا وجسدا .. إنه الحب !

كان لابد لعنترة لكى يفوز بعبلة زوجة له من أن يقهر فى نفسه العبوديةَ والخُنوعَ والضعةَ ! وقد فعل !

وأن يقهر فى مجتمعه عناصر التفرقة والعصبية والعُنجهية الظالمة ! ولقد خاض فى هذا المجال معركة شرسة !!

لقد طالب أباه بأن يعترف بنسبه .. ولكن المطالبة بالقول وحدها لم تكن تُجدى !

فخاض عنترة المهالك لإثبات جدارته بالانتساب إلى أبيه !! وقد تحقق له ما أراد !

فعندما أنقذ عنترة أباه من المذلة والمهانة على يد أعدائه ومهاجميه لم يجد شدّادٌ بُدّا من الاعتراف ببنوةٍ تشرفُه وتحميه ، وتُعلى من قدره ، ولا تنقصه وتؤذيه !

ويعود عنترة ليطالب القبيلة بالاعتراف به ، ولكن المطالبة وحدها لا تكفى !

إن الطريق إلى الحرية محفوف بالمكاره والتضحيات. إن القبيلة لا تنسى لونه .. ولا تنسى دوره كراعى غنم وإبل يسوقها من مرعى إلى مرعى !

وهيهات أن تبارك القبيلة خُطاه ، ويتكلّل بالنجاح مسعاه !!

ولكن ما ذنب هذا الفارس الأسود اللون ؟

---

(١) نوع من النوق صغير أشبه بالغزلان !

لكأنى به يردد قول أبى العلاء المعرى :

هــــذا جـــنـــــاه أبـــى عـــلـــىَّ

ومــــــا جنيت علـى أحـــــــد !

ولم يرَ عنترة فى سواد جلده مانعا يمنعه من التقدم إلى ابنة عمه «عبلة» يطلب يدها .. لقد أحبها وهام بها !

ولا يرضى بغيرها بديلا عنها !

ولكن عمه يأبى عليه زواجها ، لأن أمه من طبقة الإماء !

وإنها لأخطر مشكلة تعانيها الإنسانية .. مشكلة التفرقة العنصرية .. والتفرقة الطبقية !! فسوف يقول الرائح للغادى : إن عنترة العبد الأسود .. ابن الجارية السوداء .. أحب عبلة .. البيضاء.. الجميلة .. ابنة سيد قومها..

ولا يكاد هذا النبأ ينتشر حتى يُثير غضب أهلها وحفيظتهم .. بل غضب عشيرتها جمعاء !!

إن فى تطاول العبد الأسود إلى مقام عبلة «النبيلة» إهانة لا تحتملها طبقتها ذات السلطان !

ولم تشفع له عندهم كل تضحياته وانتصاراته .. لم يشفع له أنه أصبح فارس الفرسان .. وإن شئت فقل : إنه أبو الفوارس عنترة !

إن الحب .. وليس الكراهية هو الذى يذلل العقبات ، ويقهر كل التحديات !!

جاء فى «زهر الآداب» للحُصْرى أن شيخا بخراسان كان يعلم طلابه ، فكان يسألهم بين الحين والحين :

- أفيكم محب عاشق ؟

فإذا قالوا لا ، قال لهم :

- اعشقوا ؛ فإن العشق يُطلق الغبى ، ويفتح جبلّة البليد ، ويُسخى البخيل ، ويبعث على النظافة ، وحسن الهيئة ! وَيَدعو إلى الحركة ، والذكاء، وشرف الهمة !

وإياكم والحرام !

وقد عشق عنترة فى شبابه بنت عمه مالك «عبلة» .. وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه .. ويعترف به ابنا له ويدعيه .

فحفزه حبها وعشقُها – للمعالى يتطلبها ، وللمجد ينشدهُ وهاج ذلك من شاعريته ، وأطلق من لسانه ، فاجتمع له الشعر السلس القوى ، والشجاعة النادرة ، والمروءة الوافرة ، وشق طريقه إلى حريته ؛ ليكون أهلا لمحبوبته عبلة !

إنه الحب والعشق !! لقد فك الحب قيده .. فإذا هو من أحرار عبس .. وأطلق لسانه فإذا هو من شعراء المعلقات سبعا كانت أم عشرا .

أهكذا يفعل الحب ؟ نعم إنه يفعل الأعاجيب ؟

أهكذا تفعل الحرية ؟

نعم إنها تفعل أكثر وأكثر !

فليس عجيبا أن تكون وصية الإمام الشافعى لمن طلب منه «وصية» أن يقول له :

خلقك الله حرا فكن كما خلقك الله !

ولو أتيح للخليفة عمر أن يلقى رجال عبس لقال لهم قولته المشهورة : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» ؟!

لكن ذلك الاعتراف المنشود كلف عنترة كثيرا ، وألقى عليه مسئوليات جسامًا .. فالعبد غير الحر ! لقد أصبح من خير عبس مَنْصِبا !!

وأصبح مطلوبا منه أن يكون مستعدا دائما فى أى ساعة من ساعات الليل والنهار ويده على مقبض سيفه !

وإذا هو يقول فى قصيدته اللامية :

إنى امرؤ من خير عبس مَنْصِبًا

شطرى ، وأحمى سائرى بالمُنْصُل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

ألفيت خيرا من مُعمٍّ مُخْول[1]

إنه يشير إلى كرم أصله الأبوى ، أما شطره الثانى ، فتنوب عنه شجاعته حتى غدا فى قومه خَيرا من عمه وخاله من سادتهم !

ولكن القبيلة مازالت تنظر إلى ماضيه فى العبودية وإلى أمه «زبيبة» حتى وإن نال حريته !

فهل تشفع له فروسيته لدى قومها ؟!

وهل يأتى اليوم لتعترف به القبيلة كما اعترف به أبوه ؟

وهل يفعل الحب الأعاجيب ؟!

نحو المثل الأعلى للرجل !

الحب ، ولا سيما الموسومُ بحرارة العاطفة ، وصدقها ، روح يسرى فى الروح ، فيصقل النفس ، ويجمّل الطبع ، ويهذّب الخلق ، ويغرس فى المحب كثيرا من الفضائل التى تحببه إلى المرأة ، وتستبيها !

قيل لسعيد بن سالم : إن ابنك يحب ، فقال : «دعوه ، فإنه يَلطُف ، ويَنظُف ، ويَظرُف !»

ولو أنه أحسن لأضاف إليها خِلالا أُخر كالشجاعة ، والغَيْرة ، والكرم وإباء الضّيم ، والمروءة ، والعفة !

ولقد سَاد عنترة بالقيَم التى رفع لواءها ، وتمسك بها !!

ولقد كانت مخبوبته عبلة ملهمته ، وكان الحب النّور الذى أضاء له الطريق ، إنه يقول لها :

عُـبيلة هذا دُرُّ نظمٍ نظمتُه

وأنت له سلكٌ ، وحُسْن ، ومَبْهجُ[2]

(١) الديوان ص ٦٤ ، ٦٥ . والمنصب – بكسر الصاء – الأصل . فهو ينتمى إلى أحد سادة عبس ، أما الشطر الثانى وهو نسبه من جهة فيعوضهُ بالمنصل – بضم الميم والصاد – وهو السيف .

(٢) ديوان عنترة ٣٢ ، منية النفس فى أشعار عنتر عبس .

وكان حبها باعثا على المحامد ، فهى تعجب بالشجاع الكريم الغَلاّب ، وهذا هو «مَثَلُها الأعلى فى الرجال» .

وما أكثر الصورَ التى تدل على تأثير الحب فى أخلاق عنترة !

لقد قال عنترة لعبلة : إنه ذَكَرَها فى أحرج أوقاته ، وأعظم مفاخره ..

ذكرها والسيوف تتصافَحُ ، والرماح تشْتَجِر ، وبلغت به شجاعته وحبه معا أنه ودّ أن يقبل السيوف لأنها تبرق كما تبرق ثناياها :

ولقــد ذكــرتُك والرمــاحُ نواهلٌ

مِنى ، وبيض الهند تقطرُ من دمى

فــودِدْت تقـبــيلَ الســيــوف لأنهــا

لمعت كـبــارق ثغـرِك المتـبـسِّم[1]

وطلب منها أن تسأل المحاربين من قومه عن بطولته ، وخوضه بحر المنايا :

سَلِى يا عـبل قــومَك عن فَــعَــالى

ومَن حَــضَــر الوقــيــعــةَ والطِّرادا

وردتُ الحــربَ ، والأبطالُ حــولى

تهــز أكُــفُّــهــا السُّــمْــرَ الصِّــمَــادا

وخُــضتُ بمهــجــتى بحــرَ المنايا

ونار الحــرب تتــقــدُ اتقــادا[2]

وأقسم لعبلة أنه لولا حبها ، ما كَثُر أعداؤه ، وقل أصدقاؤه ، لأن الرجال ينفسون عليه هذه الشجاعة ، وإنما يشجع ليُرضى عبلة ، ويخاطر ليكون أهلا لها .

---

(١) ديوان عنترة ١٥٠ . نواهل .. شربت من دمى حتى ارتوت . جمع ناهل . وبيض الهند : السيوف . جمع أبيض .

(٢) ديوان عنترة ٥٧ ، فَعالى : أعمالى الحميدة وكرمى . الوقيعة : صدمة الحرب والقتال . الطراد : حمل الفرسان بعضهم على بعض فى الحرب . والسمر الصماد : الرماح القوية .

أيا عبلَ ما كنتُ لولا هواك
قليلَ الصديق كثيرَ الأعادى

وحقك لازال ظهرُ الجواد
مَقيلى ، وسيفى ودِرعى وِسادى

إلى أن أدوسَ بلاد العراق
وأُفنى حواضرها والبوادى[1]

وكثيرا ما تبرّم بالذين عيروه سواد لونه ، وأراد ألا يصرف هذا السوادُ عبلةَ عنه ، لأن له ما يعوّضه من بعض الخصال :

تُعَيِّرُنى العِدا بسوادِ لونى
وبيضُ خَصائلى تمحو السوادا[2] !

فهل آن لعبلة أن تفضل فيه القيم العليا ، والمعانى الإنسانية الخالدة ؟!

وكثيرًا ما يفتخر عنترة ببطولته ، وبطولة قومه ، ويذكر أنهم قتلوا ، وأسروا من أعدائهم ، وتركوا نساءهم متفجعات يلطمن الخدود ، وهو فى سبيل تقرير الحقيقة الواقعة لم يكتم عن المرأة ما يستثير إشفاقها على بنات حواء :

سلى عنا الفَزاريين لما
شَفَيْنا من فوارسِها الكُبودا

وخلّينا نساءهم حَيارَى
قُبيل الصبح يلطمن الخدودا[3]

ومنذ أن أحب عنترة عبلة ... ووقعت عيناه عليها ، صادف حبها قلبا خاليا فتمكن ، وما زال على العهد يردد قصيدة قالها فى صباه يصف فيها عبلة :

---

(١) ديوان عنترة ٥٣ . مقيلى : أقضى عليه وقت القيلولة . البوادى : جمع بادية : الصحراء . ضد الحواضر . من أجل الحصول على النوق العصافير مهرا لها .

(٢) الديوان ٥٧ .   (٣) الديوان ٥٦ .

١-رمت الفـــؤادَ مليـــحـــةٌ عَـــذْرَاءُ

بســــهــــام لَحظٍ مــــا لهن دواءُ[١]

٢-مـــرت أوانَ العِـــيــــد بين نواهدٍ

مـثلِ الشـمـوسِ لحـاظُهن ظِبـاءُ[٢]

٣-فاغتالنى سَقَمِى الذى[٣] فى باطنى

أخــفــيـــتُــه فــأذاعــه الإخــفــاءُ

٤-خطَرت ، فقلتُ : قضيب بانٍ حرَّكت

أعطافَــه بعــدَ الجَنوبِ صَــبـاءُ[٤]

٥-ورنَت ، فَـقـلت : غـزالـةٌ مـذعـورة

قــد راعــهــا وسط الفــلاةِ[٥] بلاءُ

٦-وبَدَتْ ، فـقـلت : البـدرُ ليلة تِمِّـهِ

قــد قلدته نجــومَــهــا الجــوزاءُ[٦]

٧-بَسَـمت ، فـلاح ضـيـاءُ لؤلؤِ ثغـرِها

فـــيـــه لداءِ العـــاشـــقين دواءُ

ومن يعـايش عنتـرة فى أشـعـاره فـلا شك أنه يأسـر لُبَّـه بمثله الخلقـيـة الرفيعة !

فهو مع فـروسيته ، وبذله لنفسه فى سبيل قومه سمح السجايا ، سهل المخـالطة والمعـاشـرة ، لا يبغى على غيره ، ولا يحـتـمل البغى ، ولا يظلم ، ولكنه لا يستكين للظلم ، فـإن ظُلِم كـان كـالإعـصـار حتى يعـصف بظالمه ، ويأتى عليه !

يقول مخاطبا ابنة عمه عبلة فى معلقته :

---

(١) سهام لحظ : نظرات العيون التى هى كالسهام . (٢) لحاظهن ظباء : عيونهن كعيون الظباء فى جمالها واتساعها . (٣) سقمى : أثر الحب فى نفسى .

(٤) الصبا : ريح لينة طيبة تهب من مشرق الشمس . والجنوب ريح تهب من الجنوب .

(٥) الفلاة : الصحراء . (٦) الجوزاء : برج من بروج السماء .

أَثْنى علىّ بما علمتِ فإننى

سمح مخالقتى إذا لم أُظْلَمِ

فإذا ظُلمتُ فإن ظُلْمِىَ باسِلٌ[1]

مر مذاقته كطعم العَلْقَمِ

وفى معلقته .. يتحدث إلى عبلة عن فروسيته ، وبسالته فى الطعن والنزال ، وصراع الأقران ، وكيف ينصَبُّ عليهم كالقضاء النازل ، أو كشُواظٍ من نار يحرق ويُبيد !

ولا يلبث أن يعود إلى كرم نفسه ، وشرف طباعه ، فيقول :

يُخْبِرك من شَهِدَ الوقائع أننى

أغشى الوغى[2] وأعف عند المغنم

إنه يتقدم فى أهوال الحرب وخطوبها ، أما عند الأسلاب[3] فيتَردّدُ ويُحجم ويتعفف ، وكأنه ليس صاحبها !

إنه لا يحارب من أجل الأسلاب والغنائم ، وإنما يحارب ليُكسب لقومه شرف الانتصار ، ولعلها ترضى .. وتفتح قلبها له !

وما يزال يحدثها فى شعره عن كرامته ، وشعوره القوى بعزته ، وأنه لا يقبل الضَّيْمَ والهوان ، لكى تعلم من بطولاته وأخلاقه ما خفى عليها فيزداد حبها له وتمسكها به على الرغم من محاولات أبيها وأخيها عمرو وتقدُّم المنافسين له من علِية القوم وأشرافهم يطلبون يدها ، ويتمنون رضاها !

إن كل آماله أن يزورَه طيفُها .. لقد أتاه هواها قبل أن يعرف الهوى !

فصادف قلبا خاليا فتمكن !

إن الإنسان لا ينسى الأحداث فى الصغر !

إنه لا يفتأ يردد هذه المعانى .. !!

---

(1) انظر معلقته . باسل : كريه .　(2) الوغى : الحرب والقتال .

(3) الغنائم : جمع سلَب .

عهد هواك من عهد الفطام

فمنذ أن وقعت عيناه عليها فى صفرة أحبها ، وهام بها وها هو ذا يحدثنا عن تجربة له مع طيفها فيقول [1] :

١- أتانى طيفُ عبلةَ فى المنامِ
فقبّلنى ثلاثًا فى اللِّثامِ

٢- وودعنى فأودعنى لهيبًا
أستره ، ويُشْعَل فى عِظامِى

٣- ولولا أننى أخلو بنفسى
وأُطْفِى بالدُّموعِ جَوَى[2] غرامى

٤- لَمِتَ أسًى ، ولم أشكُ لأنى
أغار عليك يا بدرَ التمام

٥- أيا ابنة مالكٍ كيف التَّسَلّى
وعهدُ هواك من عهدِ الفِطام

٦- وحقٌ هواك لا داويتُ قلبى
بغير الصبرِ يا بنت الكرامِ

٧- إلى أن أرتقى درج المعالى
بطعن الرمح أو ضرب الحُسامِ

٨- أنا العبدُ الذى خُبِّرتِ عنه
رعيتُ جِمالَ قومى من فِطامى

٩- أروح من الصباح إلى مَغيبٍ
وأرقُدُ بين أطنابِ[3] الخيام

(١) الديوان ص ٧٠ - ٧١ .
(٢) الجوى : تطاول المرض بسبب الحب .
(٣) أطناب : حبال تُشد بها الخيام .

١٠- أَذِلُّ لعبلةَ من فَرْط وجدى

وأجعلُها من الدنيا اهتمامى

١١- وأمتثل الأوامرَ من أبيها

وقد ملك الهوى منى زمامى

١٢- رَضِيتُ بحبِّها طَوْعًا وكَرهًا

فهل أحظى بها قبل الحِمام[1] ؟

١٣- وإن عابت سوادى فهْوَ فَخْرِى

لأنى فارسٌ من نسلِ حامِ[2]

١٤- ولى قلب أشدُّ من الرواسى

وذِكرى مثلُ عرْف المِسْك[3] نامِ

١٥- لَعَمْرُ أبيكَ[4] لا أسلو هواها

ولو طحنت محبتُها عظامى

١٦- عليك أيا عبيلةُ كلّ يومٍ

سلامٌ فى سلامٍ فى سلامِ

إنه لا يطيق البعد عنها !!

وسوف تظل «أرض الشُّرَبّة والعلم السعدى» محط آماله حيث كانت تقيم عبلة !

ريح أرض الشُّرُبّة !

ولقد خرج عنترة ذات يوم من الحى لنجدة صديق له من بنى مازن ، يقال له : «حصن بن عوف» .

---

(١) الحِمام : الموت .

(٢) حام بن نوح وإليه ينسب السود .

(٣) الرواسى : الجبال ، وعَرف المسك رائحته.

(٤) لعمر أبيك : قسم .

وعند رجوعه إلى ديار قومه تذكر «أرض الشُّرَيَّة والعلم السعدى» حيث تقيم محبوبته عبلة ، وكانت قد طالت غيبته فقال[1] :

١- تُرَى هذه ريحُ أرضِ الشُّرُيَّة

أم المسك هبَّ مع الريح هَبَّهْ ؟!

٢- ومِن دارِ عبلةَ نارٌ بدت

أم البرقُ سَلَّ من الغَيْمِ عَضْبه[2] ؟!

٣- أعبلةُ قد زاد شوقى وما

أرى الدهرَ يُدْنى إلىَّ الأحبَّهْ

٤- وكم جهدِ نائبةٍ قد لقيتُ

لأجلك يا بنتَ عمى ونَكْبَهْ

٥- فلَوَ أنَّ عينَك يوم اللقاء

ترى موقفى زدت لى فى المحبهْ

٦- وإن كان جلدى يُرَى أسوداً

فلى فى المكارم عِزٌّ ورُتْبَهْ

٧- ولو أن للموتِ شخصا يُرى

لروعته ، ولأكثرتُ رُعْبَهْ

---

(١) الديوان ص ٨ .

(٢) عَضْبَه : سيفه القاطع .

حر الصبابة والوجد

وذات يوم خرج إلى اليمن مع نفر من قومه ، وعند رجوعه تذكر أهله ، وكان قد زاد شوقه إلى عبلة ، فقال(*) :

١- إذا الريحُ هَبَّتْ من رُبا العَلَمِ السعدى
طفا بردُها حَرَّ الصَّبَابة [1] والوَجْد

٢- وذكَرَنى قومًا حَفِظْتُ عُهودَهم
فما عرفوا قَدرى ، ولا حَفِظُوا عَهدى

٣- ولولا فتاةٌ فى الخيامِ مقيمةٌ
لما اخترتُ قربَ الدار يوما -على البُعْدِ

٤- مهفهفةٌ [2] بالسُحر من لحظاتِها
إذا كلَّمتْ مَيتًا يقوم من اللَّحْدِ!

٥- أشارت إليها الشَّمْسُ عند غُروبِها
تقول : إذا اسودَّ الدجى فاطلعى بعدى

٦- وقال لها البدرُ المنيرُ ألا اسفرى [3]
فإنك مِثْلِى فى الكمالِ وفى السعد!

٧- فولت حياء ، ثم أرخت لثامها [4]
وقد نَثَرَتْ من خَدِّها رطب الورد

٨- وسلَّت حساما من سواجى جفونها [5]
كسيف أبيها القاطع المرهف الحَدّ

(*) الديوان ص ٢١ .

(١) الصبابة : حرارة الشوق .

(٢) مُهفهفة : دقيقة الخصر ، واللحظات : النظرات ، والمهفهفة : ممشوقة القد كأنها غصن يميد ملاحة .

(٣) اسفرى : اظهرى . (٤) لثامها : غطاء وجهها .

(٥) سواجى جفونها : يقال طرف ساجٍ : فاتر ساكن ، وعين ساجية وامرأة ساجية الطرف .

٩- تُقَاتِلُ عينَاها به وهو مُغْمَدٌ

ومن عجبٍ أن يقطعَ السيفُ فى الغِمْدِ[(١)]

١٠- مُرَنَّحةُ الأعطاف مَهْضُومَةُ الحَشَى

منعمةُ الأطرافِ ، مائِسَةُ القَدِّ[(٢)]

١١- يبيتُ فُتَاتُ المِسْكِ تحت لِثامِها

فيزداد من أنفاسِها أرَجُ النَّدِّ[(٣)]

١٢- ويطلع ضوءُ الصُّبْح تحت جبينها

فيغشاه ليل من دُجَى شعرِها الجَعْدِ[(٤)]

١٣- شَكا نحرُها من عِقْدِها متظلما

فواحرَبا من ذلك النحر والعِقد[(٥)] !

١٤- فهل تسمح الأيامُ يا بنت مالك

بوصلٍ يداوى القلبَ من ألَمِ الصَّدِّ

١٥- وحَقِّك أشجانى التباعدُ بعدكم

فهل أنتم أشجاكم البُعد من بعدى[(٦)] ؟!

١٦- حَذِرْتُ من البين المفرق بيننا

وقد كان ظنى لا أفارقَكُم جَهدى !

إنه الشوق والحب !

ألا لله درُّك من شُجَاع

وكثيرا ما كان يدور حوار بينه وبين محبوبته عبلة حول شجاعته ، وما يتمتع به من بطولة وفروسية فاقت كل الأقران ويكشف لنا الحوار الآتى نموذجا لما كان يدور بينهما [(*)]..

---

(١) الغمد : جراب السيف .

(٢) مرنَّحة الأعطاف : متمايلة كالغصن يميل يمينا وشمالا . مهضومة الحشا : دقيقة الخصر. مائسة القد : تميل وتختال .

(٣) ضرب من النبات يتبخر بعوده والأرَج : الرائحة الجميلة الفواحة .

(٤) جعد الشعر : اجتمع وتقبض والتوى .

(٥) واحربا وواحرباه ! كلمة تقال عند إظهار الحزن والأسف .

(٦) شجاه الأمر : أحزنه وأشجاه كذلك .

(*) منية النفس فى أشعار عنتر عبس ص ٤٨ .

١- لقــد قــالت عُـبَـيْلَة إذ رأتنى
ومَـفـرِقُ لِمّـتى[(١)] مِـثْلُ الشُّـعـاعِ
٢- ألا لله درُّك[(٢)] من شُـجـاعِ
تَذل لِهَـولِه أُسْـدُ البـقـاعِ
٣- فـقلت لهـا : سَلِى الأبطالَ عنى
إذا مـا فَـرَّ مُـرْتاعُ القِـراعِ[(٣)]
٤- سَلِيـهم يَخـبِّـروك بأن عـزمى
أقـام بربع أعـداكِ النواعى[(٤)]
٥- أنا العـبدُ الذى سَعْدِى وجَدِّى
يَفُـوقُ على السُّهَى فى الارتفـاع[(٥)]
٦- سـمـوت إلى عَنَان المجـدِ حـتى
علوتُ ، ولم أجد فى الجوِّ ساعى[(٦)]
٧- وآخَـر رَامَ أن يَسْعَى كَسَعْيى
وجَـدَّ بجِـدِّه يبـغى اتبـاعى
٨- فـقـصَّرَ عن لَحَاقى فى المعـالى
وقـد أعْـيَتْ به أيدى المسـاعى
٩- ويحـمل عُـدَّتى فـرسٌ كـريم
أقـدمـه إذا كَـثُـرَ الدواعى
١٠- وفى كفى صَقِيل[(٧)] المتن عَضْب
يداوى الرأسَ من ألَمِ الصُّـداع
١١- ورُمحى السمهرىُّ له[(٨)] سِنان
يلوح كـمـثل نارٍ فى يَفـاعِ
١٢- ومـا مـثلى جَـزُوعٌ فى لظاها
ولست مُـقَـصِّـرا إن جـاء داعى!

وإذا كان هذا هو حاله .. والدار تجمع بينهما .. ترى كيف يصبح حاله إذا رحلت عبلة ونأت بها الدار ؟!

---

(١) يكون التصغير أحيانا للتدليل . كما فى عبيلة ! واللِّمة بكسر اللام : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٢) لله دَرُّك : أسلوب يقال فى المدح والتعجب .
(٣) القِراع : المقارعة والحرب . والضرب بالسيوف والرماح .
(٤) الذين ينعون موتاهم . وجمعه نعاة وناعون .
(٥) السها : كوكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش الكبرى ، أو الصغرى . الجَد - بفتح الجيم - الحظ السعيد .
(٦) عنان - بفتح العين هنا - السحاب ، وما يبدو من السماء إذا نظرت إليها .
(٧) صقيل المتن : سيف أملس والمتن : الظهر . عَضب : قاطع .
(٨) الرمح السمهرى : الصليب العود . يقال : هو منسوب إلى «سمهر» رجل كان يقوم الرماح ، وامرأته ردينة التى ينسب إليها الرماح . فيقال : رمح ردينىّ .
اليفاع : المشرف من الأرض والجبل والرمل . ويقولون : نار على علم .

رحيـل عبلـة !

رحَلْتِ وقلبى يا ابنةَ العم تائِهُ

على أثر الإظعـانِ للركبِ يَنْشُـدُ

لَئِن تَشمَت الأعداءُ يا ابنةَ مالكٍ

فـإن ودادِى مِـثْلَمـا كـان يُعـهـدُ!

عنترة بن شداد



مالك بن قراد فى شيبان !

الناس يتحدثون عن «عمارة بن زياد» بعد تلك الوليمة التى أقامها له والد عبلة !

يتحدثون عن جماله .. وعن ماله .. وأنه أهل لعبلة !

ودَبَّت الغَيْرة فى قلب عنترة .. وراح يسأل عبلةَ عما شاع على ألسنة الناس .. وإذا هى لا تريد أن تقطعَ برأى ، وإذا قلبه يزداد اشتعالا فلا يملك إلا أن يخبرها أنه سوف يبعث إليها ليلة زفافها برأس هذا الفتى !!

ولم يكن بُدٌّ من نُزوح «مالك بن قُراد» بأهله إلى أرض شَيْبان . بعد أن جَهَر عنترة بما يُكنه قلبُه من حب عبلة والتعلق بها ! ، وتهديد من يتقدم لِخطبتها ! وصار حبهما على كل لسان !

لقد ضاقت أرض عبس فى وجه أبيها لما لحق بابنته من تناول الناس لها، وترديدهم شِعرَ عنترة فيها !

وخلت «أرض الجِواء» من منازل مالك بن قُراد لنزوحه إلى أرض شيبان !

وكان «عمرو بن مالك» أخو «عبلة» أشدَّ من أبيه أَنَفَةً وكِبرا ، كان يؤثر صَديقه : «عمارة بن زياد» . ويفضله على غيره !

وكانت «عبلة» تشاركهما هذا الضيق ، وذلك التبرم مما كان يدور حولها ، وتسمعه من الناس ، وتقرؤه فى أعينهم على الرغم مما تكنه لعنترة من حب دفين !!

وضاق المقام بأبيها ! كيف يُطيق الحياة ، والناس يتناشدون شعر عنترة فى عبلة فى مجالسهم ؟!

يا للعار ! بل يا للفضيحة !!

وأعلن «مالك» أمام هذا أنه لن يزوج عبلة من عمارة ، ولا غير عمارة !! ، ثم غادر أرضه ورحل إلى أصهاره بنى شيبان !!

أما عنترة فإنه لم يطب له البقاء فى عبس بعد رحيل عبلة .. وهام على

وجهه فى الصحراء تاركا «وادى الجواء[1]» . وذات يوم اشتد به الحنين إلى «وادى الجواء» حيث كانت تقيم عبلة فى أرض الشُّرُبَّة ، وتذكر ماضيا قد ذهب ، وإذا هو يقف شارد اللب بين أطلال بيت عبلة وإذا هو ينشد معلقته:

يا دار عـــــبلـةَ بالجِـــواء تكلّمى

وعِمِى[1] صبـاحـا دارَ عـبلةَ واسْلَمى

قال الراوى :

وعندما هرب والد عبلة بها من ديار عبس بعدما انتشرت أخبار حب عنترة لها ، إلى بنى شيبان أصهاره ! تاركا أرض الجواء .. أقام عند سيدهم «قيس بن مسعود» ، ومعه ابنه عمرو ، وابنته عبلة !

فزاد قلق عنترة لبعد عبلة ، وقال يذكر شدة شوقه إليها ، وما يلاقى من فراقها[*] :

١-إذا كان دمعى شاهدى كيف أَجْحدُ

ونارُ اشـتـيـاقى فى الحشا تتـوقّـدُ

٢-وهيهات يَخْفَى ما أُكنُّ من الهوى

وثَوبُ سِـــقـــامى كُلَّ يوم يُجَـــدَّدُ

٣- أقـاتلُ أشـواقى بصـبـرى تجلُّداً

وقلبى فى قَـيْـدِ الغـرَام مُـقَـيّـدُ

٤- إلى الله أشكو جَوْرَ[2] قومى وظُلمهم

إذا لم أجِـد خِلاً على البعد يُعضّدُ

٥- خليلىّ أمـسى حُبُّ عـبلةَ قـاتلِى

وبأسى شـديد ، والحسـام مـهند

---

(١) عمت صباحا : تحية جاهلية .

(*) الديوان ص ٢٤ .

(٢) الجور : الظلم .

٦- حــرام علىّ النومُ يا ابنةَ مــالك

ومن فرشُهُ جمرُ الغضا[1] كيف يَرْقُد ؟

٧- سـأندُب حـتى يعلمَ الطيـرُ أننى

حــزينٌ ، ويَرْثِى لىَ الحـمــامُ المغَــرِّدُ

٨- والثُم أرضًا انت فـيـهـا مُـقـيـمـةٌ

لعلَّ لهــيــبى من ثَرى الأرض يَبْــرُدُ

٩- رحلـتِ وقلـبِى يا ابـنة العمُّ تـائه

على أثَرِ الإظعــانِ[2] للركب يَنْشُــدُ

١٠- لئن تَشْمَت الأعداءُ يا ابنة مالكِ

فــإن ودادى مــثلمــا كــان يُعْــهَــدُ !

وظل عنترة على عهده ووعده رغم التنائى وبعد الديار ، وشماتة الأعداء!

لك الله يا عنترة .. لا تكاد تنحل عقدة حتى تواجهك عقبات ، وعقبات !

ولكنك قادر على تخطى العقبات ، ومواجهة الصعاب ، والتغلب على الأزمات !

تُرى ماذا كان من أمر عبلة والراغبين فيها ؟!

يا طامعا فى هلاكى عُد بلا طمع !

يقول الراوى :

ذات يوم جاء «روْضَةُ بنُ مَنيع السعدى» من بلاده ليخطب عبلة بنت مالك ، وأعلن على الملأ من قومه أنه سيبارز عنترة ، فقال عنترة[*] :

١- كم يُبْعدُ الدهرُ - مَن أرجو أُقَاربُه-

عنى ، ويبــعثُ شــيطانا أحــاربُه

(١) الغضا شجر جمره يبقى زمانا طويلا لا ينطفئ .

(٢) أظعن الركب : ساروا وارتحلوا . ونشد الضالة ينشدها : سأل عنها وطلبها .

(*) الديوان ص ٨ ، ٩ .

٢- فيا له من زمانٍ كلما انصرَفَتْ

صروفُه ، فتكت فينا عواقبُه

٣- دهرٌ يُرَى الغدرُ من إحدى طبائعه

فكيف يهنَا به حُرٌّ يُصاحبُه

٤- جرّبتُه وأنا غِرٌ[1] فهذّبنى

من بعد ما شيَّبت رأسى تجاربُه

٥- وكيف أخشى من الأيام نائبةً

والدهرُ أهون ما عندى نوائبُه

٦- كم ليلةٍ سرت فى البيداءِ[2] منفرداً

والليلُ للغرب قد مالت كواكبه

٧- وكم غديرٍ مزجتُ الماءَ فيه دمًا

عند الصباح ، وراح الوحش طالبه

٨- يا طامعا فى هلاكى عُد بلا طمَع

ولا تَرِدْ كاسَ حَتْفٍ أنت شاربه !

وكثر المبارزون الراغبون فى عبلة !!

أبو اليقظان وأبو الفوارس عنترة !

ويقول الراوى :

لما فرّ مالك بن قُراد بابنته عبلة من وجه عنترة ، نزل على «قيس بن مسعود» سيد بنى شيبان صهره ، فأكرمه قيس ، وأحسن وفادته .

وكان لقيس ولد من الفرسان يقال له : «بسطام» ، وكنيته : «أبو اليقظان» فلما نظر إلى عبلة أعجبته ، ووقعت فى قلبه موقعا عظيما !

---

(١) غر : من ينخدع إذا خدع . والمراد : لا تجربة له .   (٢) البيداء : الصحراء .

فخطبها من أبيها ، فوعده بزواجها على شرط أن يأتى برأس عنترة فقبل بذلك ، ونهض على الفور طالبا ديارَ عبس ، والتقى بعنترة فى الطريق، فهجم عليه يريد بِرازه ، وأنشد يقول(*)، على مسمع من عنترة :

١- حَادِثاتُ الدهرِ تأتى بالبِدَعْ

تَرفَعُ العَبْدَ ، وللحُرُّ تَضَعْ

٢- خَلِّ عنك الحرب يا لونَ الدُّجى(١)

واتبع الحقَّ ، ودَعْ عَنْكَ الطَّمَعْ

٣- ما ركوبُ الخيل ، نُوقٌ(٢) فى الفَلا

كنتَ ترعاها إذا الصبحُ طَلَع

٤- لا ولا عبلة من بعضِ الإما

مثلها مع مثلك الدهرُ جمع (٣)

٥- فاسْلُ عنها قد حواها سيدٌ

سيفُه لو ضرب الصخرَ انقطع

٦- يلتقى الأبطال فى يوم الوغى

بجَنانٍ لا يُدانيه فَزَع(٤)

٧- يا بنى شيبانَ قد نلتُ المنى

وانجلى هَمٌّ فؤادى واندفَعْ

٨- وغدا أخبركم عن عنترِ

أنه قد شرب الموت جرَعْ !

(*) الديوان ص ٤٦ ، ٤٧ .

(١) الدجى : سواد الليل وظلمته .

(٢) نوق : جمع ناقة أنثى الجمل ، والفلا : الصحراء . ليس هذا كذاك !

(٣) وليست عبلة تنتمى إلى أمة مثلك .. إنها حرة .. فابحث عمن يماثلك !

(٤) الجنان : القلب والعقل . لا يدانيه : لا يقاربه .. لا يعرف الفزع ، والوغى : الحرب .

أبو الفوارس وأبو اليقظان

قال الراوى :

.. وحين سمع عنترة من «بسطام» ما قال استشاط غضبا ، وكان قد بلغه خبره ، فبارزه وهو يقول(*) :

١- يا أبا اليقظانِ أَغْواكَ الطمعْ

سوف تَلْقَى فارسا لا ينقطعْ

٢- زُرْتَنى تطلبُ مِنِّى غَفْلَةً

زَوْرَةَ الذئبِ على الشاةِ(١) رَتَعْ

٣- يا أبا اليقظانِ كم صيدٍ نجا

خالىَ البالِ ، وصيادٍ وقَعْ

٤- إن تكن تشكو لأوجاع الهوى

فأنا أَشْفِيك من هذا الوَجَعْ

٥- بحُسَام كلما جردتُه

فى يمينى كُلَّما مالَ قطَعْ(٢)

٦- وأنا الأسودُ والعبدُ الذى

يقصدُ الخيلَ إذا النقعُ(٣) ارتفَعْ

٧- نِسْبَتى سيفى ورُمْحى وهُما

يُؤْنسَانِى كلما اشتد الفَزَعْ

(*) الديوان ص ٤٧ . منية النفس فى أشعار عنتر عبس .

(١) رتع : رتعت الماشية : رعت كيف شاءت فى خصب وسعة .

(٢) بحسام : بسيف قاطع . جردته : أخرجته من غمده وسللته .

(٣) النقع – بفتح النون . الغبار . وهو يثور عند المطاردة والقتال والمبارزة .

٨- يا بنى شَـيْـبَـانَ عَـمِّى ظالمٌ
وعليكُم ظلمُـه اليـومَ رجَعْ

٩- سـاق «بَسْطَامًـا» إلى مصرعـه
عـالقـا منه بأذيالِ الطمع[(١)]

١٠- وأنا أقـصـدهُ فى أرضكم
وأجـازيه على مـا قـد صنع !

يا عبلُ .. خلى عنكِ قولَ المفترى !

وكم حاول العواذل والواشـون صرف قلب «عـبلة» عن عنترة بأكـاذيبَ لفقـوها وافتـروْها ، وكان عنترة حريصا على تقديم نفسه لها من خلال مواقفه وبطولاته فقال[(*)] :

١- يا عـبلُ خلّى عنك قـولَ المفـتَـرِ
واصْـغِى إلى قـولِ المحِبُّ المخـبـر[(٢)]

٢- وخُذِى كلامًا صُغتُه من عَسْجَدِ
ومعـانيا رصَّعـتُـهـا بالجَـوْهَرِ[(٣)]

٣- كم مَهْمَهٍ قَفْرٍ بنفسى خضته
ومـفـاوزٍ جـاوزتُهـا بالأبْجَـرِ[(٤)]

٤- كم جحفلٍ مثل الضبابِ هزمتُه
بمُهنَّدٍ مـاضٍ ، ورمحٍ أسَـمَـرِ[(٥)]

٥- كم فـارسٍ بين الصفوفِ أخذتُه
والخـيلُ تعـثُـر بالقنا المتكسِّـر

---

(١) أطمعه فى زواج عبلة .

(*) الديوان : ٤٠ - ٤١ .

(٢) المفترى : صانع الأكاذيب .

(٣) عسجد : ذهب .

(٤) الأبجر : حصانه ، والمهامه والمفاوز : الصحراوات .

(٥) الجحفل : الجيش العظيم . بمهند بسيف هندى .

٦- يا عبلُ دونك كلَّ حَيٍّ فاسألى

إن كان عندك شبهةٌ فى عَنْتَرِ

٧- يا عبل هل بُلِّغْتِ يومًا أننى

وَلَّيْتُ منهزمًا هزيمة مُدْبِرِ

٨- كم فارسٍ غادرت يأكل لحمه

ضارى الذئاب ، وكاسراتُ الأنسُر[1]

٩- أفرِى الصدورَ بكل طعن هائلٍ

والسابقات بكل ضربٍ منكر[2]

١٠- وإذا ركبتُ ترى الجبال تضج من

ركضِ الخيولِ ، وكل قطر موعر

١١- وإذا غزوتُ تحومُ عُقْبانُ الفلا

حولى فتَطْعَمُ كبد كل غَضَنْفَر[3]

١٢- ولَكَمْ خطفتُ مدرَّعًا من سَرْجِهِ

فى الحرب ، وهو بنفسه لم يشعر

١٣- ولكم وردتُ الموتَ أعظمَ موردٍ

وصدرت عنه فكان أعظمَ مصدرِ[4]

١٤- يا عبلُ لو عانيت فِعلى فى العِدا

من كل شِلو بالتراب مُعَفَّرِ[5]

١٥- والخيلُ فى وسط المضيق تبادرت

نَحْوى كمثل العارض المتفجر[6]

(١) الأنسر : جمع نسر وهو الذى يضم جناحيه ويهم بالوقوع على فريسته .

(٢) أفرى الصدور : أمزقها ، وما عليها من دروع سابغة ، بضربات متلاحقة ممزقة .

(٣) غضنفر : أسد والمراد به الشجعان الذين يقتلهم . والعقبان جمع عقاب وهو طائر من كواسر الطير قوى المخالب .

(٤) صدرت عنه : رجعت ، والصادر عكس الوارد .

(٥) الشِّلْو : بكسر السين : العضو . والجمع أشلاء . (٦) العارض : السحاب المتفجر بالمطر .

١٦- من كل أدهم كـالرياح إذا جـرى
أو أشـهب عـالى المطا أو أشـقـر[1]

١٧- فصرختُ فيهم صرخةَ عبسيةً
كـالرعـد تَدْوى فى قلوب العـسكر

١٨- وعطفتُ نحوَهم ، وصُلْتُ عليهم
وصدمتُ موكبَهم بصدير الأبجر[2]

١٩- وطرحتُهم فوق الصعيد كأنهم
أعجاز نخلٍ فى حضيض المحجر

٢٠- ودماؤهم فوق الدروع تخضبت
منها ، فصارت كالعقيق الأحمر

٢١- ولربما عثر الجوادُ بفارسٍ
ويخال أن جوادَه لم يعثر

لقد واجه عنترة بنى عبس .. فماذا كان موقفه من بنى شيبان أخوال عبلة .. وأصهار أبيها !؟

وعيد !!

قال الراوى :

ولفت عنترة نظر «بنى شيبان» إلى ما سوف ينالهم إن هم أقدموا على حرمانه من حبيبة قلبه ، ونور عينيه ، وأمل حياته ، فقال يتوعدهم[*] :

١- مَدّت إلىّ الحادثاتُ باعَها
وحارَبتْنى فرأت ما راعَها[3]

---

(١) الأدهم : ما ذهب بياضه واشتدت ورُقته ، والأشهب : ما خالط بياض شعره سواد . والمطا : الظهر والأشقر : ما كان فيه حمرة صافية مع ميل البشرة إلى البياض .

(٢) الأبجر : حصانه .

(*) الديوان ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) راعها : أخافها .

٢- يا حـادثاتِ الدهـر قـرّى واهجَـعى
فـهـمَّـتى قـد كَـشَـفَـتْ قِنَاعَـهـا
٣- مـا دُستُ فـى الأرضِ العُـداةَ غَـدْوَةً
إلاّ سَـقـى سـيلُ الدمـاءِ بقـاعَـهـا
٤- ويلٌ لشـيـبـانَ إذا صَـبّـحـتُـهـا
وأرسلت بيضُ الظُّبـا[1] شُـعـاعَـهـا
٥- وخـاضَ رُمْـحى فـى حَشَـاهَا وغـدا
يَشُكُّ مع دروعــهـا أضـلاعَــهـا
٦- وأصـــبــحَتْ نســاؤها نوادباً
على رجـالِ تَشـتكى نزاعـهـا[2]
٧- يا عــبلُ عندى من هواك لوعــة
أُحِسُّ فى طىِّ الحَشـا أوجـاعَـهـا
٩- يا عـبلُ كم تـنعَقُ غِـربانُ الفَـلاَ
قد مَلّ قَلْبِى فى الدُّجَى سَماعَها[3]
١٠- فـارقت أطلالا وفـيـهـا عُـصْبـة
قد قطّعَت من صُحبتى أطماعَها[4]

ولم يفقد عنترة الأمل .. يرجو التدانى .. ويتمنى لو يزوره طيفها !

ألم تسمعى نوح الحمائم فى الدجى ؟

قال الراوى :

وعاش عنترة يُضمر وجدَه فى فؤاده ، ويناجى عبلة فى شعره ويسهر الليل لعل طيف عبلة يأتى فيسلم !

(١) الظُّبا : حد السيف . وبيض الظُّبا : السيوف الماضية .
(٢) نازع المريض نزاعا : تضجر عند إشرافه على الموت .
(٣) غربان الصحراء . ونعيقها فى رأيهم شؤم ونذير الهلاك .. وهذا ما يحيط به بعد بُعدها .
(٤) عصبة : جماعة .

وفى ذلك يقول(*) :

١- سأُضمِرُ وَجدى فى فؤادى وأكتمُ
وأسهرُ ليلى ، والعواذِلُ نُوَّمُ

٢- وأطمعُ من دَهرى بما لا أناله
وألزمُ منه ذُلّ من ليس يرحمُ

٣- وأرجو التدانى منكِ يا ابنةَ مالكٍ
ودُونَ التدانى نارُ حربٍ تَضَرَّمُ

٤- فمُنّى بطيفٍ من خَيالكِ واسألى
إذا عادَ عَنّى كيف بات المُتَيَّمُ[1] !؟

٥- ألَم تسمَعِى نَوْحَ الحمائمِ فى الدُّجَى
فمن بعض أشجانى ونَوْحى تعلموا

٦- ولم يبق لى يا عبل شخصٌ مُعَرّف
سوى كبدٍ حَرَّى تذوبُ فأَسْقَم

٧- وتلك عِظامٌ باليات وأَضْلُعٌ
على جلدِها جيشُ الصُّدودِ مخيّم

٨- أحنُّ إلى تلكَ المنازلِ كُلَّما
غدا طائرٌ فى أيْكَةٍ[2] يَتَرَنَّمُ

٩- بكيتُ من البين المُشِتّ وإننى
صَبورٌ على طعن القنا لو علمتُم[3]

يا طائر البان !

قال الراوى :

ولا يكف عنترة عن مناشدة طائر البان الذى حرك أشجانَه بعد رحيل عبلة مع أبيها إلى ديار بنى شيبان ، فنراه يقول أيضا(**) :

(*) الديوان ص ٧١ منية النفس فى أشعار عنتر عبس .

(١) المتيم : المحب . يعنى نفسه .　　(٢) أيكة : شجرة .

(٣) البين : الفراق والبعد الذى شتت شملنا . والقنا : الرماح .　　(**) الديوان ص ٨٤ .

١- يا طائرَ البانِ قد هيجت أحزانى

وزدّتنى طربًا يا طائرَ البانِ[(١)]

٢- إن كُنتَ تندُبُ إلفًا قد فُجِعتَ به

فقد شجاك الذى بالبينِ أشجْانى !

٣- زِدْنى من النَّوْحِ وأسْعِدنى على حُزْنى

حتى ترى عجبًا من فيضِ أجفانى[(٢)]

٤- وقِفْ لتنظرَ ما بى لا تكن عجِلاً

واحذرْ لنفسِك من أنفاسِ نيرانى

٥- وطِرْ لَعَلَّك فى أرض الحجاز ترى

ركبًا على عالجٍ أو دون نَعْمانِ[(٣)]

٦- يَسْرِى بجاريةٍ تنهَلُّ أدمُعُها

شوقا إلى وطنٍ ناءٍ وجيرانِ

٧- ناشدتُك الله يا طَيرَ الحمام إذا

رأيت يوما حُمُولَ القوم[(٤)] فانعانى

٨- وقُل طريحًا تركناه وقد فَنِيَتْ

دموعهُ، وهو يبكى بالدمِ القانى[(٥)] !!

طيف عبلة فى المنام

قال الراوى :

وكان عنترة فى بعض أسفاره مع الأمير «شاس بن زهير» فرأى «طيف عبلة» فى المنام ، فاستفاق حائرا مذعورا .. وقال[(*)] :

(١) البان : شجر يضرب به المثل فى طوله واستقامة ولين أغصانه ، وطائره : ما يقف عليه من طيور مفردة .

(٢) أسعدنى : ساعدنى ، وفيض أجفانه بالدموع .

(٣) عالج : موضع به رمل . ونَعمان - كما فى القاموس - كسحبان : وادٍ وراء عرفة ، وهو نَعمان الأراك ، وواد قرب الكوفة ، وواد بأرض الشام قرب الفرات ، وواد بالتنعيم ، وموضعان آخران .

(٤) حُمول : جمع حمل وهو الهودج أو البعير عليه الهودج .

(٥) القانى : الأحمر ، وشديد الحمرة .   (*) الديوان ص ٤٢ .

١- زار الخيالُ .. خيالُ عبلةَ فى الكرى[1]

لمتيَّمٍ نشوانَ محلولِ [2] العُرَى

٢- فَنَهضتُ أشكو ما لَقيتُ لبُعْدِها

فتفَّسَتْ مِسْكا يُخَالِطُ عَنْبرا

٣- فضممتُها كَيْما أقبلُ ثغرَها

والدمعُ من جَفنَيَّ قد بَلَّ الثَّرى[3]

٤- وكشَفْتُ برقعَها فأشرق وَجْهُهَا

حتى أعاد الليلَ صبحا مُسْفِرًا[4]

٥- عربيّةٌ يهتزُّ لِينُ قَوامِها

فتخاله العشاقُ رُمحًا أسمرا

٦- محجوبة بصَوارمٍ وذوابلٍ

سُمْرٍ ، ودونَ خبائها أُسْدُ الشَّرَى[5]

٧- يا عبلُ إنَّ هواك قد جاوز المدى

وأنا المُعَنَّى فيك من دون الورى

٨- يا عبلُ حُبُّك فى عظامى مَعْ دمى

لما جرَت روحى بجسمى قد جرى

٩- ولقد علقتِ بذيلِ منَ فخَرتْ به

عبسٌ ، وسيف أبيه أفنى حِمْيرًا

١٠- يا شاسُ جِرنى من غرامٍ قاتلٍ

أبدًا أزيدُ به غرامًا مُسْعَرا

١١- يا شاسُ لولا أن سلطان الهوى

ماضى العزيمةِ ما تملَّك عنترًا

ويرى عنترة من بعيد بارقا من أمل .. إن والد عبلة لا مانع عنده من تحقيق آماله .. غير أن له شرطا يتوقف عليه تحقيق ذلك الأمل !

وأشرقت الآمال فى سماء عنترة .. وأسرع للقاء عمه مالك لمعرفة ذلك الشرط !

ترى ماذا اشترط مالك عليه ؟!

(١) الكرى : النوم .

(٢) العرى : جمع عروة وهى من الثوب مدخل زره ، وما يستمسك به ويعتصم . ومحلول العرى: لا يكاد يتماسك مما هو فيه !

(٣) الثرى : التراب الندى .　　(٤) مسفرا : لا تحجبه غيوم .

(٥) الشرَى : موضع كثير الأسد . أشداء شجعان . صوارم : سيوف قاطعة . ذوابل : جمع ذابل. يقال : رمح ذابل : دقيق . والمراد أنها مصونة محروسة حراسة مشددة .

النوق العصافير !

قال الراوى :

طلب مالك وابنه عمرو من عنترة مَهْرا تعجيزيا لعبلة من «النوق العصافير» التى لا توجد إلا عند النعمان بن المنذر بالعراق !

ووافق عنترة وخرج إلى العراق فى طلب المهر ومعه أخوه شيبوب فقال(*) :

١- بلادُ الشُّرُبَّة شعبٌ ووادٍ رحلتْ وأهلُها فى فؤادى(*)
٢- يَحِلون فيه ، وفى ناظرى وإن أبعدوا فى محل السواد(١)
٣- إذا خفق البرق من حبهم أرِقْتُ وبتُّ حليفَ السُّهاد(٢)
٤- أيا عبلَ مُنِّى بطيفِ الخيال على المستهام وطيب الرُّقاد
٥- عسى نظرةٌ منك تُحيى بها حُشاشةَ ميتِ الجَفَا والبعاد(٣)
٦- وحَقِّك لازال ظهرُ الجواد مَقيلى(٤) ، وسيفى ودرعى وسادى
٧- إلى أن أدوسَ بلادَ العراق وأُفنى حواضرَها والبَوادى
٨- وأرجع والنوقُ موقورةٌ تسير الهوينا وشيبوب حادٍ(٥)
٩- وتسهر لى أعين الحاسدين وترقد أعين أهل الودادِ(٦)

فهل تحقق له ما أراد فى أرض العراق ؟ وما تلك العقبات التى صادفته؟!

فى سبيل عبلة !

قال الراوى :

لما خرج عنترة إلى العراق .. فى طلب النوق العصافير مهرا لعبلة ، أُسر هناك .. وتذكر عبلة وهو فى سجن «المنذر ابن ماء السماء» ، فأنشد

(*) الديوان ص ٢٣ (١) يحلون محل السواد من العين . (٢) السهاد : الأرق والسهر .
(٣) الحشاشة : بقية الروح فى الجسم .
(٤) أقضى عليه وقت القيلولة ولا أستريح كما يستريح غيرى .
(٥) موقورة : محملة أحمالا ثقالا . الهوينى : الاتئاد فى المشى ، حادٍ : يسوق النوق العصافير ويحثها على السير .
(٦) ترقد أعين أهل الوداد : تطمئن قلوب أحبابه إلى ما حققه .

يقول(*) :

١- جُفونُ العذارَى من خِلالِ البراقع
أحَدُّ من البيضِ الرِّقاقِ[١] القواطعِ

٢- إذا جُرِّدَت ذَلَّ الشُّجاعُ ، وأصبحت
محاجره قَرْحَى بفيض المدامع[٢]

٣- سَقَى اللهُ عَمِّى من يَدِ الموتِ جُرعةً
وشُلَّت يداه بعد قطع الأصابِع !!

٤- كما قادَ مِثْلى بالمِحال إلى الرَّدَى
وَعلّق آمالى بذيلِ المَطَامِعِ[٣]

٥- لقد ودّعتنى عَبلة يوم بَيْنها
وَدَاعَ يقينٍ أننى غيرُ راجِع

٦- وناحت وقالت : كيف تُصْبح بعدنا
إذا غبتَ عَنّا فى القِفار الشواسعِ !؟

٧- وحقّكِ لا حاولتُ فى الدهرِ سَلوةً
ولا غيَّرتْنى عن هواكِ مطامعى

٨- فكن واثقًا منى بحُسْنِ مودةٍ
وعِشْ ناعمًا فى غِبطةٍ غيرَ[٤] جازع

٩- فقلتُ لها : يا عَبْلُ إنى مسافِرٌ
ولو عرضت دونى حدودُ القَواطع[٥]

(*) منية النفس فى أشعار عنتر عبس ص ٤٥ .
(١) البيض الرقاق : السيوف الماضية .
(٢) جردت : سُلّت . محاجره : جمع محجر - بكسر الجيم - وهو ما أحاط بالعين - قرحى : جرحى .
(٣) المِحال - بكسر الميم - الكيد والقوة - والعقاب - والتدبير . والردى : الموت والهلاك .
(٤) الغبطة - بكسر الغين - السرور .
(٥) القواطع : السيوف .

١٠- خُلِقنا لهذا الحبُّ من قبلِ يومنا

فما يدخل التفنيد فيه مسامعى[١]

١١- أيا علَمَ السَّعْدِىِّ هل أنا راجعٌ

وأنْظُر فى قطريك زهر[٢] الأراجع؟

١٢- وتُبْصِر عَينىَّ الربوتين وحاجرًا

وسُكانَ ذاك الجَزْعِ بين المراتع[٣]

١٣- وتَجمعنا أرضُ الشُّرَيَّةِ واللّوى

ونرتع فى أكناف تلك المرابعِ

١٤- ونَلْقَى على الغدرانِ عبلةَ حيثما

تميسُ دلالاً فى خِلال البَراقع

١٥- فيا نَسَمَاتِ البانِ بالله خبِّرى

عُبَيْلةَ عن رَحْلى بأى المواضع

١٦- ويا برقُ بلِّغْها الغداةَ تحيتى

وحَىِّ ديارى فى الحِمى ومضاجعى

١٧- أيا صادحاتِ الأيك إن مت فاندبى

على تربتى بين الطيور السواجع

١٨- ونُوحى على من مات ظُلْمًا ولم يَنَلْ

سوى البعد عن أحبابه والفجائع

١٩- ويا خيلُ فابكى فارسا كان يلتقى

صدور المنايا فى غُبار المَعَامعِ

٢٠- فأمسى بعيدا فى غرامٍ وذلة

وقيد ثقيل من قيود التوابعِ

---

(١) التفنيد : الإبطال والقضاء عليه .   (٢) الرجع : نبات الربيع .

(٣) الجَزع : - بفتح الجيم - منعطف الوادى ووسطه ، والمراتع : جمع مرتع وهو الموضع ترتع فيه الماشية .

٢١- ولستُ بباكٍ إن أتتنى منيتى

ولكننى أهفو فتجرى مدامعى

٢٢- وليسَ بفخرٍ وصفُ بأسى وشدتى

وقد شاع ذكرى فى جميع المجامع

٢٣- بحقِّ الهَوَى لا تعذلونى وأقصروا

عن اللوم إن اللومَ ليس بنافع

٢٤- وكيف أُطيقُ الصَّبرَ عمن أُحِبُّه

وقد أُضْرِمَتْ نار الهوى فى أضالعى ؟!

إنه بين نارين : نار الأسر .. ونار الهوى !

لكن الأمل فى العودة إلى محبوبته كان يخفف عنه ما لاقاه فى سجنه !

إن نفسه تحدثه بأن فرجا قريبا سوف ينقذه مما هو فيه .. ويريحه مما كان يلاقيه !

ترى ماذا حدث ؟!

وكيف تسنى له الحصول على النوق العصافير ؟

لقد وصل أمره إلى النُّعمان ، وعرف قصة حبه ، فأكبره وقدره وأكرمه ونعّمه ، واستعان به فى حروب كان فيها نعم الفارس ، ورأوا فيه المنقذ فعرضوا عليه البقاء وله ما أراد ، ولكنه أبى إلا أن يعود ومعه النوق العصافير !

وعاد عنترة إلى ديار عبس بعد أن بقى فى الحيرة سنين موضع تكريم من رجال النعمان ، ولكن خيال عبلة وطيفها لم يكن ليفارقه منذ بدأ رحلته فى طلب النوق العصافير وحتى عودته ، وإنه ليذكر قوله[*] فيها :

١- أشاقك من عبلَ الخيالُ المبرِّحُ

فقلبُك فيه لاعجٌ يتوهَّجُ[١]

(*) الديوان ص ١٧ ، ١٨ . المعروف بمنية النفس فى أشعار عنتر عبس .

(١) المبرّح : الذى يسبب لى تعبا وألما . واللاعج : الهوى المحرق ، ويقال : هم لاعج : لحرقة الفؤاد من الحب .

٢- فـقَـدْتُ التى بـانت فـبتُّ مـعـذبا

وتلك احـتـواها عنك للبين هودجُ[(١)]

٣- كـأن فـؤادى يـوم قـمـت مُـوَدِّعـا

عُـبَـيْلةَ منى هارب يتـفـجـجُ[(٢)]

٤- خليلىّ مـا أتسـاكـمـا بل فـداكـمَـا

أبىَ وأبُوهـا وأيـن أيـن المعـرَّجُ؟[(٣)]

٥- ألما بماء الدُّحْـرُضَـيْن فكَلّمـا

ديارَ التى فى حُـبـهـا بتّ ألْهَـجُ[(٤)]

٦- ديارٌ لذاتِ الخـدرِ عـبلةَ أصبـحت

بهـا الأربعُ الهُـوج العـواصف ترهج[(٥)]

٧- ألا هـل ترى إن شـط عنى مـزارها

وأزعـجـهـا عن أهلهـا الآن مـزعج[(٦)]

إلى أن قال :

٨- فـدونكم يا آل عـبسٍ قـصـيـدةً

يلوح لهـا ضـوء من الصـبح أبلج[(٧)]

٩- ألا إنهـا خـيـرُ القـصـائد كلهـا

يفـصل منهـا كل ثوب وينسج

وفى الطريق إلى «أرض الشربة والعلم السعدى» ترامت إلى سمعه أنباء غير سارة !

لقد تحمل ما تحمل من أجلها .. وساق إليها النوق العصافير !!

وحمل أغلى الهدايا إلى محبوبة قلبه عبلة .. لقد أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أغلى أمانيه .. ولكن .. وآه مما بعد لكن !!

---

(١) بانت : بعدت . والهودج : أداة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء . والمراد : عبلة .

(٢) يتفجج : يتشقق . (٣) عرّج بالمكان : نزل به . كيف الوصول إليها ؟!

(٤) دحْرُض : بالضم - ماء . وثناهما عنترة في معلقته قائلا : شربت بماء الدحرضين .. إلخ. ألهج : أولع به ، وأعتاده ، وأثابر عليه .

(٥) الخدر : بكسر الخاء - الستر والحجاب . وذات الخدر : عبلة . والهُوج : جمع هوجاء وهى من الرياح : المتداركة الهبوب كأن بها هوجا . ترهج : الرَّهَج : الغبار . وترهج : تثير الغبار.

(٦) شط : بعد . (٧) أبلج : واضح . مضىء . منير .

أخبار عن زفاف قريب وتحذير وإنذار

قال الراوى :

وكان مالك أبوها وعمرو أخوها يحبان عمارة بن زياد ويرغبان فى مصاهرته لغناه وشهرته ، على الرغم مما كان منهما تجاه عنترة من معاهدته على الزواج من عبلة ، وعلم عنترة ، وهو فى طريق العودة إلى أرض الوطن بأن عبلة سوف تزف إلى عمارة قريبا ، فقال محذرا ومنذرا(*) :

١- إذا جَحَدَ الجميلَ بنو قُرَادٍ	وجازى بالقبيح[1] بنو زياد
٢- فهم ساداتُ عبسٍ أينَ حَلُّوا	كما زعموا ، وفرسانُ البلاد
٣- ولا عيبٌ عَلَىَّ ولا مَلامٌ	إذا أصلحتُ حالى بالفسادِ
٤- فإن النارَ تَضْرَمُ فى جمادٍ	إذا ما الصخرُ كرَّ على الزناد[2]
٥- ويُرجَى الوصلُ بعد الهجر حينا	كما يُرْجَى الدُّنُوُّ من البِعادِ
٦- حَلُمْتُ فما عرفتُمْ حق حلمى	ولا ذكرتْ عشيرتُكم ودادى
٧- سَأَجْهلُ[3] بعد هذا الحِلْمِ حتى	أُريقَ دمَ الحواضِرِ والبوادى
٨- ويشكو السيفُ من كفِّى مَلالا	ويشكو عاتقى حملَ النجاد[4]
٩- وقد شاهدتم فىَّ يوم طىٍ	فعالى بالمهندةِ الحِداد[5]
١٠- رددتُ الخيلَ خاليةً حيارَى	وسقت جيادَها والسيف حاد[6]
١١- لقد عاديتَ يابن العم ليثا	شجاعا لا يمَلّ من الطِّراد[7]
١٢- يرد جوابه قولا وفعلا	ببيض الهند والسُّمْرِ الصعاد[8]
١٣- فكن ياعمرو منه على حِذارٍ	ولا تملأ جفونك بالرُّقاد

(*) الديوان ص ٢٢ . منية النفس فى أشعار عنتر عبس .

(١) بنوقراد : قوم عبلة فعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسى ومالك أخو شداد والد عبلة ، وهما ابنا قراد .

(٢) تضرَم : تتقد وتشتعل . والزناد : أداة تدق الزندة فتشتعل : والزند : العود الأعلى تقدح به النار والأسفل هو الزندة .

(٣) الجهل : الغضب عكس الحلم .
(٤) النجاد : حمالة السيف .

(٥) المهندة الحداد : السيوف الهندية القاطعة .
(٦) حاد : يقودها .

(٧) ابن العم : يقصد عمرًا أخا عبلة ، والطراد : مطاردة الفرسان بعضهم بعضا بالخيل فى ميادين القتال .

(٨) بيض الهند : السيوف القاطعة . والسمر الصعاد : الرماح . والصعاد : جمع صعدة ، وهي القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلي تثقيف وتسوية . والقصبة .

عودة الغائب !

ها هو ذا عنترة قد عاد وهو واثق بأن عبلة ما تزال فى انتظاره .. كان قلبه يذكر جيدا قولها له عند الوداع :

«سوف أنتظرك مهما طالت غيبتك » وهتف به هاتف :

«إن حديث الناس عن عمارة بن زياد .. حديث خرافة والقلوب لا تكذب!».

وحين علم الحى بقرب قدومه خرج الأطفال والنساء والرجال لاستقباله، وكانت المفاجأة الكبرى أن معهم «عبلة» ، وأخذوا يتراقصون فوق الجياد وهم يحيطون بعنترة ، وعبلة إلى جانبه ، وهنا تقدم عنترة شاهرا سيفه اللامع فى ضوء النيران الموقدة للاحتفال بعودته ، وإذا هو يُنشد(*) :

١- أرضُ الشَّرُبَّةِ تُرْبُهـا كـالعنبـر
ونسيـمُهـا يَسرى بمسكٍ أذفـر[١]

٢- وقِبابُهـا تحـوى بُدورا طُلَّعـا
من كل فـاتـنةٍ بطرف أحـور[٢]

٣- ياعبلُ حـبك سالب ألبابنَا
وعـقـولَنا ، فـتـعطّفى لا تهـجـرى

٤- ياعـبـلُ لولا أن أراك بـناظرى
مـا كنت ألقى كلَّ صـعبٍ مُنْكَرِ

٥- ياعبلُ كم من غَمْرة باشرتُها
بمثـقَّفٍ صَلْبِ القـوائم أسمـر[٣]

وبينما كان يواصل إنشاده إذا به يسمع أصواتا عالية .. فإذا الفتيان من حوله يرددون فى حفل استقباله وزفافه قوله فى أول عهده بالحرب والقتال مفتخرا بشجاعته ويردد الكون معهم (*):

(*) ديوان عنترة المسمى منية النفس فى أشعار عنتر عبس ص ٣٩ و ص ٤٠ .

(١) أذفر : طيب الرائحة جيد للغاية .

(٢) الطرف العين ، والحور : شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها .

(٣) بمثقف : برمح معتدل ، والغمرة : الشدة .

(*) الديوان ص ٨٢ .

١- أنا فى الحرب العَوَانِ غيرُ مَجهولِ المكان[1]
٢- أينما نادَى المنادى فى دُجَى النَّقْع يرانى[2]
٣- وحُسامى وقناتى لفَعالى شاهدان
٤- أُشْعِلُ النارَ ببأسى ولظاها بجَنانى[3]
٥- إننى ليث عَبُوسٌ ليس لى فى الخَلْق ثان[4]
٦- خُلِق الرمحُ لكفى والحُسام الهُندُوانى[5]
٧- ومعى فى المهد كانا فوق صدرى يُؤْنِسانى
٨- فإذا ما الأرض صارت وردةً مثل الدِّهان[6]
٩- ورأيت الدم يجرى لونه أحمر قان[7]
١٠- ورأيت الخيل تهوى فى نواحى الصحصحانى[8]
١١- فاسمعانى نغمة الأسيـاف حتى تُطربانى
١٢- أطربُ الأصواتِ عندى رَنةُ السيف اليَمانى[9]
١٣- وصليلُ الرمح فى يَوْم طعانٍ أو رِهان[10]

وظل الحفل حتى مطلع الفجر ، وكان لابد لعنترة أن يستريح بعد طول غياب فى ذلك السرادق الذى أهداه إليه كسرى ليقضى فيه ليلته هو ومحبوبة قلبه .. وكان لقاء .. وكانت فرحة العمر !

لقد آن للغائب أن يعود .. وآن للقلب المعذب أن يستريح ..

إنها إرادة الله !

وقد يجمع الله بين الشَّتيتين بعدما

يظنان كل الظَّنِّ أن لا تلاقيا !!

(*) الديوان ص ٨٢ . المسمى منية النفس فى أشعار عنتر عبس .
(١) العَوَان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى . (٢) النقع : غبار الحرب . ودجاه : ظلمته .
(٣) الجنان : العقل . (٤) ليث : أسد .
(٥) الهُندُوانى : المهند ، وهو السيف المطبوع من حديد الهند وكان خير الحديد .
(٦) وردة هى زهرة الورد وهو تشبيه سمرة لونها ، والدهان : ما يدهن به ، أو جمع دهن .
(٧) قان : شديد الحمرة . (٨) الصحصحان : ما استوى من الأرض .
(٩) اليمانى : المنسوب إلى اليمن . (١٠) صليل الرمح : صوته .

النهايـة

قال الشاعر :

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

وقد عاش عنترة حتى جاوز التسعين !

وتوفى قتيلا قبل ظهور الإسلام بسبع سنين !

وعاشت عبلة بعده قليلا ثم لحقت به !

وكان عنترة قد أغار على بنى نبهان من طيئ ، فساق إبلا لهم وغنما ؛ وهو شيخ كبير ، وأخذ يتغنى بشعره ..

فرآه زِرّ بن جابر النبهانى ، وكان فيه فتوة فرماه ، وقال :

خذها ، وأنا ابن سلمى ، فقطع ظهره !

فتحامل بالرمية حتى أتى أهله وهو مجروح فقال[1] :

وإنّ ابنَ سَلْمَى عنده - فاعلموا دمى
وهيهات لا يُرْجَى ابنُ سلمى ولا دمى!

يَحِلّ بأكنافِ الجبال وينتمى
مكان الثريا ليس بالمتهضَّم

رمانى - ولم يدهش - بأزرق لهذَمٍ
عشية حلوا بين نعفٍ ومَخْرَم[2]

وهذا الذى قتله كان يسمى بالأسد الرهيص[3] .

وبقى عنترة حَيًّا فى نفوس عشاق المثل العليا والمبادئ التى أرسى دعائمها !

(١) كذا فى ديوان عنترة نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٣٧ أدب .

(٢) النعف : ما انحدر من السفح وغلظ ، والمخرم : منقطع أنف الجبل .

(٣) الرهيص : الذي لا يبرح مكانه خبثا وتيها . انظر الجزء الثامن من الأغاني ط دار الكتب ص ٢٣٧ - ٢٤٥ .

١- القصة والسيرة

على مر الزمان .. انتقل الإعجاب بـ «قصة عنترة» من الخاصة إلى العامة ، فأحاطوه بالاحترام ، والإعجاب جيلا بعد جيل .. وعصرا بعد عصر !! وخلد المبتكرون للقصص ألوان البطولة التى تجمعت حول القطب الجاذب لها .. وصارت هذه وتلك «سيرة شعبية للبطل» ! .

فكانت القصة .. وكانت السيرة .. جنبا إلى جنب .

لقد تداول الناس أخباره ، ونسجوا حولها الأساطير ، وأحاطوا عنترة بهالة من البطولة لم يتيسر لرجل عربى أن يُحاط بها !

وظلت الأخبار تتناقل ، ويزاد عليها ، حتى تكون منها سِفْرٌ ضخم ، هو «سيرة عنترة» التى لقيت من الانتشار والتغلغل فى «الحياة الشعبية» ما لم يلقه أى سفر أدبى آخر !

٢- ديوان عنترة

وكان أقدم طبعات «الديوان» التى تعددت فيما بعد زمانا ومكانا - مجموعة القصائد التى جمعها «اسكندر أغا أبيكاريوس» وأطلق عليها اسم «منية النفس فى أشعار عنتر عبس» ورتبها هجائيا سنة ١٨٨٣م واكتفينا بالرجوع فى تأليف القصة إليها ، وسرد أحداثها وشخصياتها ، مع كتب الأدب وعلى رأسها الأغانى .. والعقد الفريد ! فلزم التنويه .



الفهرس

هذه القصة

وقعت أحداثها قبل الإسلام بأعوام ! ومع ذلك عاشت ، وأحبها الجميع على مر الأيام !

لقد جاء الإسلام فمجَّد ما احتوت عليه من مبادئ إنسانية كريمة ، ومثل عليا عظيمة .

فها هو ذا بطلها "عنترة بن شداد" يأبى الذل والتبعية وينشد الحرية والاستقلالية لنفسه ، ولقومه ، حين مارس الفروسية فأنقذ قومه من المهالك فى غارات أعدائهم عليهم ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب "داحس والغبراء" حتى صار فارس عبس الأوحد ، وضُرب به المثل فى الشجاعة والعفة ، وعزة النفس ، وإباء الضيم .

إنها قصة الحب العفيف ، والبطولة النادرة .. كما يتجلى ذلك فى شعره الذى جعله أحد أصحاب المعلقات ومن كبار الشعراء !

وقد عشنا لنرى فى "القرن العشرين" من سار على درب عنترة ووقف فى وجه الظالمين المعتدين فى جنوب إفريقيا، حتى حقق الحرية لشعبه ووطنه فاستحق "جائزة نوبل للسلام" كما استحق عنترة أن يكون من أصحاب المعلقات ، وأحد أصحاب السيف والقلم .

الناشر

